الوجهة الخامسة عشرة
تحتوى على أربع صور فيها ذكر مصلى العيد النبوى
والمساجد والمنازل القائمة فى ممرات بهذه المساجد
ومسجد قباء وبيت النفاق الضرار
والمعابد النبوية المعلومة وغير المعلومة

فى ذكر المساجد التى صلى فيها سيد الزاهدين محمد صلى الله عليه وسلم صلاة العيد ومنازل الصحابة الموجودة فى طريقها

أول صلاة عيد أداها إمام الأنبياء ـ عليه أعظم التحايا ـ فى المدينة هما صلاتا عيد الفطر وعيد الأضحى اللتان أداهما النبى ﷺ فى السنة الثانية للهجرة.

وبناء على قول الإمام الواقدى أن النبى ﷺ صَلَّى هاتين الصلاتين للعيدين فى المكان الذى خلف بيت حكيم بن عدى بن بكر بن هوازن والمستقر بجانب أصحاب المحامل.

وحمل معه الحربة التى أعطاها النجاشى ملك الحبشة للزبير بن العوام.

ويحمل أئمة المدينة اليوم وهم يذهبون لأداء صلاة العيد تلك الحربة معهم. وكان ذلك الميدان فى الجهة الغربية فى المصلى المشهور الذى سبق تعريفه، وفى اتصال حديقة «العريضية لا من جهتها الشمالية». وأحيط أخيرا بسور من جهاته الأربعة واتخذ مسجدا.

وعندما حاصر المصريون حضرة عثمان بن عفان وضيقوا عليه الخناق وأَمَّ على بن أبى طالب الناس فى هذا المسجد بقى اسمه «مسجد على» وإن كان هذا ما يروونه إلا أن عليًا بن أبى طالب لم يكن يؤدى الصلاة فى مكان لم يصل فيه نبينا إمام قبلة الدين ـ عليه السلام ـ وبناء عليه يلزم ألا يكون لهذه الرواية أساس.

ويروى بعض المؤرخين أن أبنية ذلك المسجد قد اندرست مع مرور الزمن ولم يبق لها أثر، وقد اعتادت قوافل الحجاج أن يدفن فى خرائبه جنازات من يموتون

منهم، ولقد عثر فى سنة ٨٨١هـ والى المدينة المنورة خرائب هذا المسجد وطهرها وبنى الأبنية التى عليها اليوم، إلا أن هذه الرواية تخالف الرواية التى نقلها كتابة.

يقول إبراهيم بن أمية ناقلا عن شيخ جليل ذو ضمير حى لامع فى الرواية التى نقلها كتابة:

صلى النبى ﷺ أول صلاة عيد فى المدينة المنورة بجانب منزل ابن أبى الجنوب فى محلة «الدوسى» وصلى صلاة العيد الثانى خلف منزل حكيم بن عدى بجانب دار حفرة، وصلى صلاة العيد الثالثة بجانب منزل عبد الله بن درة المزنى الكائن بين دار معاوية ودار كثير بن الصلت. وصلى صلاة العيد الرابعة بين الحجارة السوداء القريبة من المصلى المشهور وصلاة العيد الخامسة داخل منزل محمد بن عبد الله بن كثير بن الصلت، وصلاة العيد السادسة فى محل المصلى المشهور.

كان منزل ابن أبى الجنوب فى الجانب الغربى من وادى «البطحاء» وداخل منزل حكم حفرة سالف الذكر وكان منزل ابن درة[1] المزنى على الجانب الغربى من المصلى ودار كثير بن الصلت فى الجهة القبلية من المصلى المذكور والمكان الذى أشير إليه بالحجارة السوداء فى داخل حديقة «العريضية».

القريبة من مصلى العيد. ويوجد الآن فى الحديقة التى كانت تعرف بالريشهية فى ذلك الوقت المسجد الذى ينسب إلى الصديق الأعظم. لما كان الصديق الأكبر يصلى صلوات الله على أرض هذا المسجد عندما كان خليفة سمى هذا المسجد «مسجد أبى بكر».

صلى النبى ﷺ صلاة العيد الأولى بالقرب من دار الشفاء وصلاة العيد الثانية فى محلة «الدوسى» وصلاة العيد الثالثة فى المكان الأنور الذى يسمى مصلى العيد، بعد ذلك لم يترك هذا المكان حيث أدى جميع صلوات

(١) درة اسم قبيلة تتشعب عن جماعة مزينة.

العيد بعد ذلك فى هذا المكان فى حياته، هذا هو المروى وهذه الرواية جديرة بالترجيح على تدقيقات الإمام الواقدى وإبراهيم بن موسى لقول ابن شيبه ناقلا عن شيخه ومصاحب الإمام مالك: من باب مروان ـ أى من الباب الذى عرف بباب السلام ـ إلى مسجد السعادة ومصلى العيد ألف ذراع وليس فى المدينة المنورة فى طريق مصلى العيد مكان أقدس من مصلى العيد بعد المسجد النبوى الشريف.

ينقل عن جناح النجار أنه قال: كنت قد ذهبت إلى مكة مع أخت سعد بن أبى وقاص «عائشة» فقالت لى فى أثناء الطريق: «أين تقيم فى المدينة؟» فقلت لها: أسكن فى بيت قائم على رصيف من أرصفة باب السلام. عندئذ قالت لى: «إذا كان كذلك فلا تترك هذا البيت، لأن والدى سمع عن رسول الله ﷺ: «إن ما بين مسجدى والمكان الذى صلى فيه العيد جنة من رياض الجنة»، وبهذا بين قداسة الطريق الذى بين المسجد الشريف ومصلى العيد وعرف أشرفيته.

وكلما كان النبى ﷺ عائداً من أحد أسفاره ويصل إلى مصلى العيد، يستقبل القبلة ويدعو. وكان يذهب من طريق لأداء صلاة العيد ويعود عن طريق آخر، كان يذهب إلى المصلى من شارع باب السلام ويعود من الطريق الذى يمر من أمام دار عمار بن ياسر وكان الصحابى أبو هريرة يتباهى ويتفاخر قائلا: «إن زاوية دارى أحب إلى وأجمل من كل شىء وكيف لا تكون كذلك؟! والنبى ﷺ كان يذهب من إحدى زواياها إلى مصلى العيد ويعود من زاويتها الأخرى».

وقد خرب مصلى العيد النبوى وفيما بعد جدد فى سنة ٧٤٨هـ من قبل السلطان ناصر الدين حسن بن قلاوون، وإلى الآن فوق طاقة حجر كتبت عليه العبارة الآتية: «قد جدده شيخ الحرم النبوى عز الدين بإدارة ناصر حسن بن محمد بن قلاوون سلطان مصر سنة ٧٤٨».

ويقع المسجد المذكور فى الجهة اليسرى من حديقة «عريضية» وكان قد جدد

أيضًا فى سنة ٧٦٢هـ ولما كان مسجد مصلى النبى ﷺ فى مدخل حديقة عريضية كان الدخول فى هذه الحديقة يتم من داخل المسجد الشريف وكانت ساحة المسجد الشريف تلوث بسبب الحيوانات التى تدخل وتخرج من و إلى الحديقة ووصلت القذارة أحيانًا إلى كل مكان لدرجة أن المصلين لا يجدون فيه قبة لأداء الصلاة. فاستدعى الأمير إينال صاحب الحديقة واستأذنه وصنع للحديقة بابا آخر. وصنع للمسجد سقفًا مخصوصًا وفتح للشبكة التى فى الجهة الغربية باباً فى جدارها وجعل دهليزًا خاصًا لدخول الحيوانات. وبما أن الحيوانات منعت من الدخول لحرم مسجد النبى ﷺ فى المصلى ظل دائمًا نظيفًا؛ وفى سنة ٨٦١هـ وبما أن باب مصلى العيد كان خاليًا من المصراع فتحوا بابًا فى مواجهة المحراب لجداره الشامى. وركبوا لبابه القديم مصراعًا؛ وكان للباب الذين فتح حديثًا من خارجه مكان يصعد إليه بسلم؛ وعمرت صفة ذلك المكان اللطيف فى عهد الأشرف إينال تحت نظارة الأمير برد بك فى سنة (٨٦١) وكان الأئمة الذين يؤمون الناس فى صلوات الجمع والأعياد والخطباء يجلسون فى هذه الصفة. بينما كان الأمير يرد بك يعمر هذه الصفة جعل للخارجية فاعتاد الأعيان من أهل السنة أن يجلسوا فى هذا المكان من الأئمة والخطباء وعندما يحين وقت الصلاة كانوا يدخلون فى المسجد.

أول من قام بالإمامة والخطابة تحت هذه السقيفة من قضاة أهل السنة هو العلامة «سراج الدين أحمد ـ رحمه الله ـ الذى عينه منصور قلاوون الصالحى وأرسل إلى المدينة المنورة سنة ٦٨٢هـ وبما أن جميع القضاة والخطباء قبل سراج الدين أفندى كانوا من طوائف الزنادقة قد تعرض سراج الدين أفندى من أفراد الزنادقة لكثير من التحقير والإهانة كما عرف ذلك فى الصورة العاشرة من الوجهة الأولى والصورة العاشرة من الوجهة الثالثة.

ابن فرحون من المؤرخين الذين أدركوا الدور الذى ظهر فيه أفراد الزنادقة على أهل دار السكينة وتغلبوا عليهم. وقال فى تاريخه: «إننى رأيت بنفسى ما ألحقته طائفة الملاحدة لائمة أهل السنة من الإهانات رأى العين، كانوا يرجمون

أئمة أهل السنة الذين يصلون فى المحراب والخطباء الذين يخطبون على المنبر وبلغ من جرأتهم و غلوائهم أن الأئمة الذين يؤمون المصلين فى صلاة العيد كانوا لا يستطيعون أن يخرجوا من الباب الرئيسى بل يخرجون من الأبواب الصغيرة التى فتحت فيما بعد. ولا يستطيعون أن يخطبوا مواجهين الجمهور وكانوا يصعدون من سلم الصفة التى عمرت فى عهد الأشرف إينال ويخطبون وهم يستدبرون القبلة؛ ولكن السقيفة التى صنعت فيما بعد من قبل أمير المعمار برد بك تحول دون رؤية وجه الخطيب، وإلقاء الخطبة بهذا الشكل كان مخالفًا للسنة النبوية الشريفة إلا أن إلقاء الخطباء خطبهم بهذا الشكل كان مبنيًا على رأى الأهالى الذين يرددون أن النبى ﷺ قد ألقى الخطبة فى ذلك المكان الميمون. وبعد أن غلبت طائفة الملاحدة الرذيلة على أمرها، تركت الحالة السابقة كليًا وأخذت الخطب تلقى على الوجه المسنون».

إن المعبد اللطيف الذى ذكرناه طويلاً سابقًا مازال موجودًا إلى يومنا هذا ويعرف باسم «مسجد النبى» ويشتهر بذلك.

تذكر وتعرف مسجد قباء

بناء على ما ورد فى الكلام عن سنة الهجرة شرف النبى ﷺ قرية قباء بالنزول فيها. وسكن محلة بنى عمرو بن عوف أكثر من عشرة أيام وتفضل بإقامة مسجد قباء، هذه الرواية منقولة عن أئمة السير، إلا أن فرقة من المؤرخين يرغبون فى رد هذه الرواية، وبناء على أدعاء هؤلاء المؤرخين تبين لنا أن النبى ﷺ أقام ثلاث ليال[1] فى محلة بنى عمرو بن عوف فى مكان وأخذوا يصلون فى مربد كلثوم بن هِدْم حيث أسسوا مسجد قباء، وكان النبى ﷺ يصلى مدة وجوده فى محلة بنى عمرو بن عوف على ساحة هذا المسجد وذهبت فى فرقة من المؤرخين إلى أن أسعد بن زرارة قد أسس مسجد قباء قبل الهجرة وقالوا موضحين ذلك كانت ساحة مسجد قباء مربد كلثوم بن هدم، وكان أسعد بن زرارة قد أحاط هذا المكان من جهاته الأربعة بجدار حتى يصلى فيه الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ الذين هاجروا قبل الرسول ﷺ وليجتمع مع سائر المسلمين الذين سيأتون يوم الجمعة من سائر القرى، وصلى النبى ﷺ فى داخل هذا المكان وأمرهم بأن يتخذ أهل قباء هذا المكان مسجداً لهم.

وإننا نحكم بأن ما قالته هذه الطائفة من المؤرخين خطأ من أساسه ونرى أن ما ذكرته الطائفة الأولى من المؤرخين أقرب إلى الصحة، لأن النبى أثناء مقامه فى محلة بنى عمرو بن عوف صلى فى ساحة مسجد قباء، وهذا قطعى الثبوت

(١) اختلف الرواة فى المدة التى أقامها رسول الله ﷺ فى قباء، فقيل أربعة، وقيل أربعة عشر وقيل اثنان وعشرون.
انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٨٠-٨٣. ط دار الفكر بتحقيق محمد فهمى الرجانى. والدرر لابن عبد البر من ٨٥، وغيرها.

وروايته تستند إلى أقوال موثوق بها. بينا ادعى جابر بن سمرة أن الرسول ﷺ أسس وبنى مسجد قباء بعد تشريفه مدينة العز المدينة المنورة وقال: قام النبى ﷺ فى المدينة المنورة وشرف قرية قباء، وقال لمستقبليه من أهل قباء: «يا سكان قباء»، وبعد ما هيأ أهل قباء مقدارا كافيًا من الحجارة خط رسول الله ﷺ بحربته حدود المسجد الميمون وأمر بحفر أساسه، وحمل بنفسه قطعة من الآجُرّ ووضعها فى المكان الذى سيتخذ محرابا، ثم خاطب أبا بكر الصديق وقال له: «يا أبا بكر خذ أنت أيضًا حجرًا وضعه فوق حجرى، ويا عمر احمل أنت أيضًا حجرًا وضعه فوق حجر أبى بكر، ويا عثمان ضع أنت أيضًا الحجر الذى حملته بجانب حجر عمر ويأايتها الجماعة، ابنوا الجدران بوضع الحجارة حيثما تريدون».

وهكذا أمرهم بطرح وبناء مسجد قباء المقدس؛ انتهى.

ويفهم مما أورده جابر بن سمرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قد حضر وصنع أساس المسجد المذكور الذى سيُتخذ المحراب المذكور وأن أهل قباء قد أكملوا بناء جدران وسقف المسجد بعد أن شرف النبى ﷺ المدينة المنورة، وبناء على هذا أقول يقتضى الحكم بصحة ما ادعاه سواء أكان أهل السير أو المؤرخون.

قد حضرت شموس بنت نعمان وضع أساس مسجد قباء وعندما أخذ النبى ﷺ حجرًا ووضعه فى المكان الذى سيتخذ محرابا وكانت تقول كلما تعرف وضع أساس المسجد المذكور: إننى أجلت النظر فى الصحابة الكرام الواحد تلو الآخر فى أثناء إرساء أساس مسجد قباء، وقد حمل النبى حجرًا كبيرًا وكان فى غاية الثقل كان ثقل الحجر يؤثر فى سرته المباركة؛ ولما رآه واحد من الصحابة الكرام على هذه الحالة قال للرسول ﷺ يارسول الله فداؤك أبى وأمى، اترك هذا الحجر حتى أحمله عنك فقال له الرسول! لا فليحمل كل واحد منكم حجرًا كبيرًا حتى تكملوا إرساء أساس المسجد؛ لأن جبريل ـ عليه السلام ـ يرينى الكعبة المعظمة.

وأضافت شموس: من هنا أعرف أن مسجد قباء أقوم المساجد من حيث اتخاذ القبلة.

ورواية شموس بنت نعمان[1] هذه «مسجد قباء أقوم المساجد من حيث اتخاذ القبلة رواية صحيحة، ولكن بناء مسجد قباء كان قبل تحويل القبلة، وبما أن القبلة تحولت بعد ذلك بسنة فمحراب أبنية مسجد قباء الذى كان فى ذلك الوقت غير موجود الآن.

اختلفت الأئمة فى سبب نزول الآية الكريمة

﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾ (التوبة: ١٠٨)

أنزلت فى مسجد قرية قباء أم أنها نزلت فى مسجد النبى فى المدينة؟

فقالت طائفة منهم: إنها نزلت فى مسجد قباء، وقال بعضهم: إنها نزلت فى مسجد الرسول ﷺ، أما حجة الطائفة الأولى وسندها فهى قوله تعالى ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ﴾ (التوبة: ١٠٨) ومن هنا فهذا مرجح على القول الثانى ولما وجد من العلماء من يرجحون القول الثانى وفق العلماء المدققون بين الأقوال المختلفة بأن وجهوا الآية الكريمة قائلين أنها نزلت فى حق كلا المسجدين. دقائق هذا البحث وتفصيلاته مدونة فى الصورة الثالثة من الوجهة الثانية.

وطيلة المدة التى أقام فيها النبى ﷺ فى المدينة المنورة كان يزور مسجد قباء كل يوم سبت راجلاً أو على صهوة فرس، حيث يؤدى ركعتين تحية للمسجد، كما يروى أنه ﷺ كان يمضى إلى هذا المسجد فى أيام الاثنين وفى اليوم السابع عشر من شهر رمضان.

كان عمر بن الخطاب يزور مسجد قباء يومى الاثنين والخميس فى أيام خلافته وكان يتوقى عدم ترك هذه السنة ويحافظ عليها؛ حتى إنه ذهب فى يوم من الأيام إلى المسجد ولما لم يجد فيه الناس غضب غضبًا شديدًا وقال: «والذى نفسى بيده، لقد رأيت النبى ﷺ وأبو بكر كانا يحملان حجارة كبيرة حينما وضع أساس هذا المسجد، وكان جبريل الأمين يُرى للرسول البيت المعظم؛ أقسم بالله لو كان هذا المسجد فى بلد من البلاد المجاورة لكانوا ذهبوا لزيارته أفواجًا أفواجًا.

(١) ترجمتها فى الإصابة ٨/ ١٢٢-١٢٣، وذكر لها الحافظ ابن مجر طرق الحديث الوارد هنا.

فأتونى بمكنسة وعندما أُتى له بمكنسة خلع ثيابه وأخذ يكنسه بعد أن نظفه من خيوط العنكبوت، وقال للذين طلبوا منه أن يترك لهم كنس المسجد إنكم لن تستطيعوا أن توفوه حقه من التنظيف مثلى.

ونقل عن زيد بن أسلم أنه قال: «نشكر الله على أن مسجد قباء فى مدينتنا لو كان فى مكان بعيد للزم أن نزوره راكبين الجمال».

كما نقل عن عائشة بنت سعد بن أبى وقاص أنها قالت كان أبى يقول: إن أداء ركعتين من الصلاة فى مسجد قباء خير من زيارتين للمسجد الأقصى، ولو عرف الناس ما فى مسجد قباء من فيوضات إلهية، لقدموا لزيارته من كل صوب وحدب».

وهذا مروى بأسانيد قوية. والحقيقة أن الصلاة فى مسجد قباء أفضل من الصلاة فى المسجد الأقصى، كما أن ركعتين وفى رواية أربع ركعات فى هذا المسجد تعدل ثواب عمرة، وهذا ما ثبت بالأحاديث الصحيحة.

قال عبد الله بن عمر بن الخطاب وهو فى طريقه إلى زيارة مسجد قباء لسائليه الذين استفسروا عن الجهة التى يقصد إليها أنا ذاهب للصلاة فى مسجد قباء الكائن فى منازل عمرو بن عوف؛ لأنى سمعت النبى ﷺ يقول: «كل من صلى فى مسجد قباء كان ثواب صلاته ثواب العمرة».

ويقول سعيد جبير الأسدى: «ذهب أنس بن مالك إلى مسجد قباء وصلى ركعتين وبعد الصلاة جلس فى ركن من أركان المسجد وأنا أيضًا جلست قليلاً ثم ذهبت إليه وجلست بجانبه عندئذ خاطبنى قائلاً: يا سعيد! ما أعظم قدر هذا المسجد، لو كان على بعد شهرين من الزمن لوجبت زيارته! وكل من خرج من بيته ناويًا زيارة مسجد قباء وأداء أربع ركعات من الصلاة فيه، فالله يثيبه أجر عمرة»[1].

(١) رواه ابن ماجه وغيره من حديث سهل بن حنيف، ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث كعب بن عجرة، كلاهما بمعناه وحديث سهل بن حنيف فيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف، وحديث كعب بن عجرة فى رواته يزيد بن عبد الملك النوفلى، وهو ضعيف.
انظر: مجمع الزوائد: ٤/ ١١.

وعلى كل من يريد أن يعرف المحل المقدس الذى أدى فيه النبى ﷺ الصلاة أن يزور العمود الثالث بعد دخوله المسجد وأن يؤدى بجانبه أربع ركعات تحية، وهذا العمود هو أقرب مكان إلى ساحة المسجد أى إلى الميدان المكشوف.

وقد بنى مؤخرًا إلى الجانب الشرقى من هذا العمود محراب وكان هذا إشارة مصلى النبى ﷺ. ولا شك أن المحراب الذى بنى فيما بعد كان قبل تحويل القبلة وأنه يومئ إلى المكان الذى كان يؤدى فيه الرسول ﷺ صلاته، إلا أن النبى ﷺ كان يؤدى صلاته فى ذلك المسجد بعد تحويل القبلة فى الجهة الشرقية من العمود الثالث[1] اعتبارًا من الساحة الرملية للمسجد المذكورة.

ولا شك فى صحة هذه الرواية إلا أن المسجد وسع فيما بعد وتغير مكان الأسطوانة المعلقة وإذا عدت الآن الأساطين القائمة بناء على تعريف المؤرخين فمن الصعب العثور على العمود الذى يشير إلى المصلى النبوى بل من المستحيل؛ وخاصة أن باب المسجد فى ذلك الوقت كان خلف منزل سعد بن خيثمة، وفى زماننا هذا الباب مسدود ومجهول الموقع؛ لأجل ذلك ركزوا عمودًا خاصًا علامة على مصلى النبى ﷺ؛ وبناء على هذا لا يقتضى عد الأعمدة بل البحث عن العمود الذى رُكز إشارة وعلامة للمصلى النبوى. وإن كان قد وضع على أحد الأعمدة المتصلة بالساحة الرملية محراب وكتب على طاقه الآية الكريمة.

﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾ (التوبة: ١٠٨)

وأشير إلى أن هذا المكان هو المصلى النبوى.

إلا أن هذا المكان ليس المصلى النبوى بل مكان نزول الآية الكريمة المذكورة. وفى مواجهة هذا المحراب الذى كتبت على طاقه الآية الجليلة حظيرة من خشب عليه قبة مكسوة بالرصاص، وأخبرنا ابن جبير أن هذه الحظيرة مبرك ناقة النبى ﷺ، إلا أن المؤرخين الآخرين ترددوا فى تصديق رواية ابن جبير.

جدد مسجد قباء فى عصر السعادة فوسع طولاً وعرضًا بمقدار ستة وستين ذراعًا وكانت ساحة المسجد طولاً خمسين ذراعًا وعرضًا ستة وعشرين ذراعًا، وأضاف عثمان بن عفان مؤخرًا الجدار[1] القبلى وعند البعض إن هذه الإضافات كانت فى عهد وليد بن عبد الملك.

وعندما كان عمر بن عبد العزيز واليًا على المدينة وسع مسجد قباء وزين جدرانه وسقوفه بالفسيفساء والنقوش. وأضاف إليه مئذنة وعدة عقود. وصنع سقفه من خشب الساج وترك ساحته التى فى الوسط مكشوفة.

وبما أن ما جدده عمر بن عبد العزيز أشرف على الانهيار والخراب مع مرور الزمن فجدد فى سنة ٥٥٥هـ كما جدد عمود المحراب سالف الذكر سنة ٦٧١هـ، كما جدد بعض جهات من سقفه سنة ٧٣٣ وفى سنة ٨٤٠هـ الجهات الأخرى من السقف المذكور. وقد أصلح وعُمِّرَ فى سنة ٥٥٥ من قبل جمال الدين الأصفهانى ومن الناصر قلاوون المصرى سنة ٧٣٣ وفى سنة ٨٤٠ من قبل الأشرف برسباى المصرى، على قدر الإمكان.

ومال سقف المسجد ومئذنته للوقوع بفعل مرور الزمن، فبعث الأهالى فى سنة ٩٥٠هـ إلى السلطان سليمان ـ طيب الله ثراه ـ يسترحمونه ويرجونه فأرسل المختصين فهدموا مئذنته وما خرب من سقفه وبناهما من جديد، وزين ونور داخل المسجد وخارجه بالقناديل والثريات التى أرسلت من باب السعادة كما عين للمسجد الخطباء والأئمة والمؤذنين. ودام هذا التعمير ما يقرب من ١٦٠ سنة، وبما أنه لم يعمر ولم يرمم فى هذه الفترة من قبل أحد، فأوشكت جدرانه ومئذنته على الانهيار فحرم عشاق النبى ﷺ من زيارة ذلك المسجد، وبناء على هذا عرض الأمر من قبل أهالى دار السكينة، وموظفى المدينة على الأعتاب السلطانية فصدر الأمر السلطانى للقيام بما يقتضى، وأعلم بالأمر المعمار سليمان بك الذى أرسله السلطان مصطفى خان بن السلطان محمد خان لتعمير مسجد

(١) تسمى هذه الأسطوانة الأسطوانة المعلقة وليس فى جهته القبلية أسطوانة غيرها.

السعادة ونبه بإجراء اللازم، وبعد ما أتم سليمان بك تعمير مسجد السعادة وجدده قام بتجديد جدران مسجد قباء ومئذنته بعد ما هدمهما. وبنى قبة على أربعة أعمدة فوق مبرك الناقة ثم بنى خارج المسجد سبيلاً وعدة دور للخلاء وحفر فى ساحة المسجد الرملية بئرًا عميقة تمد السبيل ودور الخلاء بالمياه وهكذا أَوْفَى مهمته على أحسن وجه فى سنة ١١١١هـ.

ودام هذا التعمير ١٣٣ سنة وأُهْمِلَ المسجد نتيجة لتقلب الزمن وساءت حالة المسجد أكثر لغض المدينة النظر عن حالة المسجد حتى أوشك على الانهيار بغتة، فعرض الأمر على عتبة السلطان محمود خان بمحضر عام فى سنة ١٢٤٤هـ.

فما كان من السلطان محمود إلا أَنْ ببناء المسجد بعد هدم جميع مشتملاته. وبناء على ذلك سافر إلى المدينة المنورة المهندس عزت خليفة وأمين البناء وحيد أفندى بعد ما تم اختيارهما تعيينهما من قبل الباب العالى. وبمجرد وصولهما ثابرا فى إيفاء مهمتهما فهدما مسجد قباء مع قبابه وجدرانه بالكامل وجددوه. فى صورة محكمة قوية. وكانت أعمدة المسجد المذكور أصبحت فى حالة غير لائقة للاستعمال فهدمها وحيد أفندى وجددها.

وهدم كذلك المحراب القديم محراب النبى، ومحراب منزل الآية، وقبة مبرك الناقة، وسبيل محمد باشا وجددها على طراز جديد. وأمر بكتابة الأبيات التى أرسلت من باب السعادة فوق طاقات هذه الآثار الشريفة. والأبيات التى كتبت فوق عقود الآثار الشريفة هى: البيت الذى لا نظير له والذى كتب على طاق محراب الكشف:

«أصبح طاق الكشف لمحراب النبى علما ومن هنا انكشفت أرض الحرم لحضرته»

البيت المؤثر الذى كتب على محراب مبرك الناقة:

إن اسم هذا الموضع الطهور مبرك الناقة فأصبح قصوى جوا لآيات السلطان مولاك»

البيت اللطيف المحرر على محراب منزل الآية المختار:

«يقولون إن آية ﴿ أُسِّسَ ﴾ (التوبة: ١٠٨) نزلت ها هنا تعال وقم هنا يا أيها المقتدى بأثر الرسول»

الحديث الشريف الذى كتب على المحراب الجديد:

قال النبى ﷺ، «من تطهر فى بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان كأجر عمرة»[1].

التاريخ الذى كتب على طاق باب مسجد قباء الشريف.

إمام المسلمين ملك الدنيا السلطان محمود خان
الخلافة مختصة بذاته والكرامة مهيأة لطبعه
حينما سمع ما حل بالمسجد من خراب
بادر فى التو إلى تطييب خاطر أهل طيبة بترميمه
نزلت آية التأسيس فى حق هذا المسجد
فليشهد بمكانة هذا السلطان الذى جدد
كلما كان هذا المكان مسجداً لأهل
الحاجة فليُكتب للدين والدولة البقاء
كتبت التاريخ أنا «برتو» وسجدت شاكراً
كان هذا المسجد خرابًا فعمره محمود خان

فأرسل من باب صاحب القرار النجارون والمهذبون وما يقتضيه بناء المحراب من الأدوات والأحجار فأقيم محراب فخم على يمين منبر السعادة من قطع رخام ملونة خاص بالجماعة الحنفية فى جمادى الأولى من سنة ١٢٥٨هـ وقرر أن يؤدى أئمة المذهب الحنفى صلواتهم فى هذا المحراب، وظل الإمام الحنفى يؤدى الصلوات فى هذا المحراب قرابة سنتين.

(١) سبق تخريج الحديث.

إلا أن الأمر السلطانى قد صدر بأن يصلى فى محراب النبى الإمام الشافعى وفى اليوم الآخر الإمام الحنفى أخذ أئمة المذهب الحنفى والشافعى يؤدون الصلاة مناوبة فى المحراب النبوى ما يقرب من ٢٦٩ سنة، ولما ذهب والى مصر محمد على باشا إلى المدينة المنورة بعد واقعة الوهابية فى سنة ١٢٢٩هـ بقصد زيارة الحجرة المعطرة وضع نظام أن يؤدى كل من أئمة المذهبين كل يوم الصلاة فى المحراب النبوى، ومازال هذا النظام جاريا، فيصلى الإمام الشافعى صلوات الصباح قبل الإمام الحنفى ويصلى الإمام الحنفى صلوات الأوقات الأخرى قبل الإمام الشافعى، ولكن فى أيام مواسم الحج يصلى الإمام الحنفى فى المحراب العثمانى ويصلى الإمام الشافعى فى المحراب النبوى بعدما يتم الإمام الحنفى صلاته.

وهذا النظام خاص بمواسم الحج، ويصلى الإمامان صلوات التراويح فى وقت واحد.

صورة ظهور المذهب الحنفى وزمان ظهوره:

بعد أن نقل ابن فرحون فى هذا الخصوص أقوالا كثيرة، قال: «كان سكان المدينة المنورة إلى عصر شمس الدين العجمى يعتنقون مذهبين المالكى والشافعى».

وعندما هاجر شمس الدين أفندى إلى المدينة شجع بعض علماء المذهب الشافعى على الاشتغال بمسائل المذهب الحنفى، وكان هؤلاء العلماء قد دققوا النتائج الأساسية لذلك المذاهب، وأخذ علماء المذهب المذكور يتكاثرون أخذوا يتفقهون وأصبحوا أئمة زمانهم من هنا أخذ الأهالى يستفيدون من علومهم ويستفتونهم ومن ذلك الوقت أخذ المذهب الحنفى ينتشر فى المدينة المنورة سنة ٧٢٣هـ.

إن المحراب السليمانى يقع ـ بناء على تعريف مؤلف «الجواهر الثمينة» من مؤرخى المدينة المنورة ـ فى الجهة اليمنى من محراب النبى ﷺ وعلى يسار منبر السعادة وبجانب العمود الثالث ابتداء من المنبر الشريف، وفى نهاية الطرف

الغربى لما أضافه عمر بن الخطاب، وقد بنى ذلك المحراب كما ذكر آنفا السلطان سليمان بن السلطان سليم فى سنة ٩٥٨هـ وخصه بأئمة المذهب الحنفى والمالكى، وعرف بالمحراب السليمانى ا.هـ.

وكان أئمة الحنفية لا يؤمون الناس إلى سنة ٨٥٨هـ فى مسجد السعادة وكانت مهمة القضاء والإفتاء منحصرتين فى علماء المذهب والمالكى.

وفى عام ٨٦٥هـ بناء على طلبات ملوك مصر وضع نظام أن يصلى أئمة الشافعية صلاة الصبح قبل المالكية وأن يصلى أئمة المالكية مع جماعتهم الكبرى الصلوات الأخرى قبل الشافعية.

وكان من عادة النبى ﷺ كلما شرف مسجد قباء بزيارته أن يمر بدار أم حرام[٢] زوجة عبادة بن الصامت وكان لا يجيد عن هذه العادة ذات الحكمة النبوية.

ويروى أن النبى ﷺ كان يشرف دار سعد بن خيثمة فى قرية قباء وكانت دار حضرة سعد فى ذلك الوقت فى الركن الغربى لجدار المسجد القبلى. وفى وقتنا هذا فموقع مسجد على فوق ساحة هذا المنزل الذى لا نظير له. وكان سعد بن خيثمة يؤدى صلاته طول عمره فى ذلك المكان المبارك. وبناء على قول ابن شيبة أن النبى ﷺ كان من عادته أن يستريح مضجعًا فى دار سعدٍ ويجدد وضوءه ومن هنا كان سعد بن خيثمة يؤدى صلاته فى المكان الذى كان يضطجع فيه النبى إلى أن توفى.

وكان قصر كلثوم بن هدم الساحر خلف الجدار القبلى لمسجد قباء. وقد شرف

(١) يلزم أن يكون هذا الطريق فى زماننا فى مواجهة محل يسمى سويقة فى الطريق القبلى لسور حصن المدينة.

(٢) لما كان هذا المنزل فى داخل منازل بنى سالم الكائنة فى الجهة الغربية من مسجد الجمعة ومن هنا يتضح ويثبت أن النبى ﷺ كلما كان يشرف مسجد قباء يمر من جهة مسجد الجمعة.
والخبر صحيح كما جاء فى صحيح البخارى وغيره. انظر: الإصابة ٨/ ٢٢٢-٢٢٣.

الرسول ﷺ فى أول هجرته دار كلثوم بن هِدْم وصحب معه أبا بكر الصديق واستضافه فى ذلك المنزل اللطيف ومن هنا يعد من الآثار المباركة والمنازل المقدسة.

وقد اتخذت هذه الدار المباركة مؤخرًا مسجدًا والمسجد اللطيف الذى يعرف فى أيامنا باسم مسجد فاطمة قد أقيم فوق ساحة منزل ابن هدم.

مسجد ضرار

كان الذين بنوه اثنى عشر رجلاً: خذام بن خالد من بنى عبد بن زيد أحد بنى عمرو بن عوف ومن داره أخرج مسجد الشقاق، وثعلبة بن حاطب من بنى عبيد وموالى بنى أمية بن زيد، ومعتب بن قشير من بنى ضبيعة بن زيد، وأبو حبيبة بن الأزعر من بنى ضبيعة بن زيد، وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف من بنى عمرو بن عوف، وحارثة بن عامر، وابناه مجمع بن حارثة وزيد بن حارثة، ونبتل بن الحارث، وهم من بنى ضبيعة، وبجاد بن عمران وهو من بنى ضبيعة، ووديعة بن ثابت، وموالى بنى أمية رهط أبى لبابة بن عبد المنذر.

كان أبو عامر من أفراد قبيلة الخزرج، وكان ملمًا بعلوم التوراة والإنجيل وكان يمارس تعليماتهما وكان سالكًا بطريقة الزهد والعبادة وكان منهمكا باستحصال الرياسة العلمية وقد اختار قبل البعثة طقوس النصرانية وكان يكتسى الملابس القديمة ومن هنا اكتسب لقب الراهب. وكان قد اطلع على أوصاف النبى ﷺ بالاستماع إلى علماء الإنس والجن وكان يصفه لأهالى أرض يثرب قبل الهجرة ويعدد المنافع الدنيوية والأخروية فى اتباعه ويرغب أهل المدينة فى تصديق النبوة المحمدية ويشوقهم إلى ذلك.

وعندما أبهج النبى ﷺ بقدومه الميمون المدينة وأصبح مغتبطًا من أهل الأرض والسماء وأخذ أهل المدينة وأطرافها يبدون للنبى ﷺ علامات الميل والركون ملأ هذا قلب أبى عامر القاسى بالحزن والحقد، وأخذ يسعى لمنع أهل الإيمان عن متابعة باعث المغفرة ويبعدهم عنه بنشر ترهاته التى تقول: إن الشخص الذى

وصفت مقدمًا شمائله المباركة ونبى آخر الزمان الذى عرفته ليس الشخص الذى أتى إلى بلدنا وادعى النبوة. وإن كان له بعض علاماته الظاهرة وتردد أبو عامر مع المنافقين الذين يشاركونه فى أفكاره فى قبول الإسلام كما أشير إلى ذلك فى الآية:

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٨٩)

ودب دبيب الحسد فى نفسه للنصر الذى أحرزه المسلمون فى غزوة بدر الكبرى، ومضى إلى مكة وحرض القرشيين على الحرب والثأر وتجرأ فى وقعة أحد المكدرة أن يرمى أول سهم على المسلمين من أجل ذلك لقبه النبى صادق القول بـ «أبو عامر الفاسق».

قال بعض أئمة السير حينما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة مثل أبو عامر الفاسق أمام النبى ﷺ وقال له: يا محمد! ما نوع الأشياء التى تقول أنك أحضرتها من قبل الله فأجابه النبى ﷺ إنه دين إبراهيم الحنيف فتفوه قائلاً: أنا أيضًا أتبع شريعة الدين الحنيف وأعلم بأحكامها وأراد بهذا أن يعرض أنه كان يعتنق قبل البعثة دين خليل الرب الجليل.

فقال النبى ﷺ: ألا إننى جئت بدين إبراهيم على المحجة البيضاء، لا على ما ظننت وخمنته فغضب أبو عامر على أنه كذب بهذا الشكل وقال: «فليجاز الله الكذاب بالطرد والانعزال»، وهكذا أظهر غيظه وحقده ونجى من القتل فى غزوة أحد وهاجر إلى بلاد الشام، وانتسب بالمرة إلى حاكم القسطنطينية هرقل وحثَّهُ على السعى لتجهيز الجيوش ضد المسلمين ولكنه لم يوفق فى ترويج أمله وتحقيقه.

وعندما عاد إلى المدينة قبل وقعة تبوك بمدة واشتغل بنشر العلوم حتى يستطيع

فعل ما فى ضميره من الفساد وأرسل إلى قومه واجب اللوم من منافقى بنى غنم رسالة ذات أسلوب لعين تتضمن نفاقه الذى اعتاده يقول فيها: «إننى سأعود إلى المدينة مستصحبًا معى عساكر من قيصر الروم، فاستعدوا أنتم أيضا بتجهيز الأسلحة اللازمة وانتظروا قدومى، وابذلوا جهدكم لبناء مسجد رصين الجدار أمام مسجد قباء وفى حى أصحاب النفاق».

وحينما أخذ منافقو بنى غنم الذين سبقت أسماؤهم أعلاه رسالة أبى عامر فأسرعوا ببناء مبنى فى قرية قباء قبيل غزوة تبوك وذهبوا إلى رسول الله ﷺ وطلبوا منه أن يشرف هذا المكان ويباركه بأداء ركعتين صلاة فيه، فقالوا: «يا رسول الله! بنينا فى قريتنا مسجدًا ليصلى فيه العجزة وأصحاب العلل والأعذار فى ليالى الشتاء المطرة وكل رجائنا أن تشرفوه بأداء ركعتين صلاة فيه فأجابهم النبى ﷺ: «الآن قد خرجنا من المدينة بنية الغزو فإذا ما يسرت لنا العودة نفعل إن شاء الله» فعاد المنافقون وقد تلقوا الرد الصائب.

وعندما عاد النبى ﷺ من تبوك وقرر أن يستريح قليلاً فى مكان يسمى ذى أوان على بعد ساعة فى ناحية تبوك من المدينة المنورة. فجاء منافقو بنى غنم مرة أخرى متذللين متمسكنين وطلبوا من النبى ﷺ أن يشرف مسجدهم مسجد ضرار إلا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد حسم الموضوع إذ أنزل الآية الكريمة:

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ (التوبة: ١٠٧-١٠٨).

وهكذا فضحت الآية الكريمة أفكار بنى غنم وكشفتهم، وبعث النبى ﷺ مالك بن الدخشم وسعد بن عدى وأخاه عامر أو عاصم بن عدى لهدم وتخريب مسجد ضرار فى قرية قباء فذهب هؤلاء إلى قباء حيث هدموا وخربوا مسجد

ضرار أولا ثم جلبوا سعف النخيل وأحرقوه وجعلوا المكان مقلبًا للقمامة لأهل القرية.

يقول خزيمة بن ثابت: «كان أبو عامر الراهب قبل البعثة يعرف بأقوال النبى وأفعاله ويمدحه ويثنى عليه وكان يتجنب الشرك والكفر ويرغب فى اتباع دين إبراهيم الحنيف ويحرص على التوحيد، واجتمع بكثير من علماء اليهود والنصارى وتشاور معهم وسافر كثيرا ليدقق دين إبراهيم وعرف أن الدين الحنيف المذكور سيظهر مع مبعث الرسول الأكرم، واطلع على كثير من شمائل ذلك النبى المقدسة.

ووجد أبو عامر يومًا فى مجلس أعيان الأوس والخزرج وأخذ يذكر اسم النبى وصفاته وبين أنه ظهر فى مكة المكرمة وأنه سيهاجر إلى المدينة الطاهرة، وعندئذ قال له أبو الهيثم بن التيهان القضاعى الذى كان فى ذلك المجلس، وكان من الذين دخلوا فى الدين الحنيف، يا أبا عامر! كيف أتصرف إذا ما أدركت بعثة هذا النبى وقال له أبو عامر أقسم بأن الجن والإنس قد وصفوه لى وبينوه فقال له أبو الهيثم يا ترى، فالذين وصفوه لك من بين البشر رأوا صفاته فى كتاب الله؟ أو سمعوها من الجن؟ فنحن لا ندرى شيئا من هذا الموضوع؟ قال أبو عامر، أخبرنى بذلك كاهن فى اليمن، وكان الكاهن المذكور مشهوراً جداً فى الأخبار العربية العجيبة، وكنت خرجت فى شهر رجب فى ليلة مقمرة منفرداً لأتلاقى مع ذلك الكاهن. وفى أثناء سيرى كان قلبى قد نام ومر وقت غير قليل، ولما استيقظت من نومى رأيت أن دابتى قد انحرفت عن الطريق ودخلت فى مكان لا يعرف أين سينتهى. وبدأت أرتعش حزينًا وأخذت أجيل النظر حولى من شدة الخوف ورأيت أمامى نارًا فاتجهت نحوها. ولم يكن لى دليل. وعندما وصلت إلى جانب النار كنت قد شعرت بالدفء من كثرة تجوالى حولها، إلا أن هذه النار لما كانت لاهى مثل الإنسان ولا الحيوان ولم تكن حولها منازل ولا خيام ولم تكن لائقة بأن يطلق عليها اسم النار ومن هنا أصابنى الخوف والفزع وانتصب شعرى حتى أصبحت كل شعرة كأنها شوكة. وارتعشت قوائم ناقتى فبدأت تسرع فى سيرها.

وما تصورته نارًا تمثلته أربعة أنفار مردة ذات أشكال مخيفة وهجموا على هجومًا عنيفًا، فصحت بأعلى صوتى واستغثت برئيسهم، وكان من هؤلاء الأنفار كلب يمنعهم من الهجوم على؛ فأتوا إلى جانبه وجلسوا بعد التحية، كانت وجوهم مخيفة ومناظرهم قبيحة كريهة، فخاطبنى واحد منهم قائلاً: «من أنت؟» فقلت لهم: «إننى شخص من بنى غسان الذى ينتهى إلى بنى قيلة[1] فقيل لى أين تذهب وعم تبحث» فقلت لهم: «إننى خرجت إلى الطريق باحثًا عن كاهن يخبرنى عن أحكام الدين الحنيف؛ ولكننى ضللت الطريق وأتيت هنا وهكذا وضحت لهم ما فى ضميرى، ثم ختمت مقالى قائلاً: «نحن من معاشر البشر، ونعتمد على الكهنة الذين يستقون منكم الأخبار وينشرونها بيننا، إننى فرد غريب يرغب فى ملاقاة الذين يتبعونكم لأجل ذلك أسير فى البلاد. فإذا ما طلبتم منى الذهاب نفذت أمركم فأشار الثلاثة إلى شخص رابع معهم والذى افتتح كلامه قائلاً ما اسمك؟ «فقلت له اسمى أبو عامر فقال لى: «يا أبا عامر افتح عيونك، وإننى أؤمنك بأننى لن أكذب عليك، لتعلق قلبى بك. يا أبا عامر أقسم لك إنه قد ظهر نبى من سلالة بنى هاشم بن عبد مناف وبسبب هذا الغيث مثل العنبر قد أحضر إلى العالم الذى أوشك على الخراب، وجهه منير مثل شمس الدنيا المضيئة واسع الصدر، قامته ليست طويلة ولا قصيرة بل هى موزونة، ولا ينظر إلى شىء أكثر من اللازم وعندما ينظر لا تطرف عيناه وعيونه ذات حكمة ومكحولتان بالفطرة واسعتان جميلتان، وفى عينيه مقدار من الحمرة وبين كتفيه خاتم النبوة، وهو أمى لا يعرف القراءة ولا الكتابة، مبعوث بالدين الحنيف، يظهر أن الخلق جميعًا سيتبعونه ويسيرون فى آثاره وأنه سيتحدث للملائكة ذوات الأجنحة وبعد قوله هذا انسحب من جانبى وتقدم إلى الأمام فتبعه رفقاؤه، وأنا رأيت أن الصباح قد حان فوجدت طريقى وعدت».

يفهم من حكاية خزيمة هذه أن أبا عامر الفاسق أخبث الخلائق كأنه تدين بدين الخليل الجليل قبل البعثة النبوية وقد استقى المعلومات عن البعثة المحمدية

(١) قيلة أم الأوس والخزرج.

وترهب حتى يكتسب شرفًا ومكانة بين الأهالى وتوغل فى الصحارى يعنى اكتسى بالملابس الخلقة وتستر بستائر النفاق راغبًا فى خداع الناس؛ ولكنه باء بالخذلان والخسارة إذ أنكر الرسالة المحمدية، لأنه التقى بعد الهجرة بالنبى ﷺ وقال له: «يا محمد ما الدين الذى بعثت به؟» وتلقى الرد الصائب من النبى ﷺ إذ قال له: «بعثت بالدين الحنيف الذى بحثت عنه فترة من الزمن» فتجرأ أن يرد على النبى وهو يهذى» إنك قد مزجت بهذا الدين البدعة» فرد عليه النبى ﷺ قائلاً: «بل أتيتُ به على المحجة البيضاء» فغضب من تلقيه هذا الرد وغادر مجلس النبى ﷺ مجلس الملائكة. حتى إن النبى ﷺ عندما قال له «يا أبا عامر! ألست تنتظر قدومى؟ ألم تكن تنقل أوصافى التى تلقيتها من علماء اليهود والنصارى لأبناء الأوس والخزرج؟ «فرد على الاستفهام النبوى قائلا: «لست الشخص الذى وصفه علماء اليهود والنصارى، لم يحن بعد وقت بعثته» وأمن على دعاء النبى الذى قال: فليجعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ الكذاب مستحقًا لجزاء الموت طريدًا وحيدًا فاستجاب الله ـ سبحانه وتعالى ـ لدعاء النبى ﷺ إذ هرب مؤخرًا إلى بلاد الشام ثم إلى القسطنطينية وهلك وحيدًا طريدًا.

حنظلة بن أبى عامر الفاسق الذى هرب إلى القسطنطينية رافضًا الإسلام، قد استشهد فى غزوة أحد من قبل شداد بن أسود وعلى قول من أبى سفيان قد بشر بالحديث الشريف هو حنظلة غسيل الملائكة.

ومكان خرابة مسجد ضرار مجهول فى عصرنا، وكان المحل المبارك الذى بنى عليه مسجد قباء حظيرة لحيوانات امرأة مخلصة تسمى لينة؛ لذلك قال منافقو بنى غنم: «إننا نرى أن إقامة صلاة فوق مكان حظيرة حيوانات لينة غير مناسب؛ لأجل ذلك فنحن سنبنى فى المكان الذى عينه أبو عامر مسجدًا عظيمًا حيث سنتعبد»، وفعلاً بنوا مسجدًا عاليا رصينًا جميل الشكل فى جوار مسجد قباء وهذا محقق.

ولما كانت جميع الروايات التى تتحدث عن جهته وشكله وهيئة بنائه من

الأقوال الضعيفة وبناء على ذلك لا يمكن تعيين مكان خرابته. ومعلوم لدى الجميع أنه كان فى داخل قرية قباء وفى مكان قريب من مسجد قباء وبما أنه قد بنى لتفريق الجماعة الإسلامية فقد كان مبنيًا متينًا محكما لدرجة ما ومن الروايات الموثوقة أنه قد انبعث من الساحة القذرة لهذا المسجد دخان عجيب فى عصر السعادة كما أن هذا الدخان قد انبعث مرة أخرى فى عهد أبى جعفر المنصور.

فى ذكر مواقع المساجد النبوية التى تزار اليوم

استحب العلماء الكرام الصلاة تبركًا فى الأماكن التى صلى فيها النبى ﷺ.

وبينوا أنه يجب الاهتمام بالصلاة فى الأماكن سواء أكانت أسماء هذه المساجد التى أسست فى هذه المواقع معلومة أو مجهولة وأن هذه المساجد قد أقيمت عامة فى أيام ولاية عمر بن عبد العزيز، ثم جددت كلما احتاج أىُّ موقع من مواقعها إلى التعمير والتجديد من قبل ملوك ذلك الزمان.

١ـ مسجد الجمعة:

يقع هذا المسجد بالمدينة المنورة وقرية قباء فى واد يعرف بذى صلب وفى رواية يعرف بـ «ذى رانونا» وهو بالقرب من التقاء مياه مجرى هذين الواديين.

إن هذا المسجد اللطيف أول معبد أدى فيه النبى ﷺ عند هجرته إلى المدينة المنورة وكان فى ميدان وادى ذى صلب وكان مكشوف الجوانب.

أحاطه أحد الخيرين اسمه عبد الصمد بجدار فى ارتفاع ذراع واحد وجعله على شكل مسجد.

ولما كان الجدار الذى أقامه عبد الصمد من الحجر الأسود خاليًا من كل شئ انهار بعد مدة واندرست خرائبه قليلاً قليلاً وهدمت فجدده أحد الفرس على شكل مسجد ولما مال هذا أيضًا إلى الانهيار والسقوط أصلحه وسقفه الشيخ شهاب الدين قلاوون وأحكم تشييده، ولهذا المسجد فى زماننا طاقان فوق عمود واحد وسقف مستقيم وطوله عشرون ذراعًا وعرضه ستة عشر ذراعًا وله ساحة رملية مكشوفة.

والحصن الذى اتخذه عتبان بن مالك مسجداً فى الجهة الشمالية من ذلك المسجد ومازالت آثار أطلاله قائمة حتى اليوم. وأخذا مما يرى كان عتبان يجمع رجال قبيلته فيه ويؤدون الصلاة فى الأيام المطيرة وذلك بإذن من النبى ﷺ.

عندما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة المنورة قام فى قرية قباء وواصل سيره وعندما وصل إلى ملتقى مجارى مياه، ذى صلب وذى رانونا حل وقت صلاة الجمعة فنزل من على ظهر ناقته التى كان يركبها وأدى صلاة الجمعة واتجه بعد ذلك إلى المدينة المنورة، وكانت منازل سالم بن عوف فى ناحية ذلك المسجد، ويطلق على هذا المسجد اسم مسجد عاتكة أيضًا.

٢ـ الثانى هو مسجد الفضيح:

هذا المسجد معبد صغير مربع الشكل على شاطئ نهير فى الجهة الشرقية من مسجد قرية قباء، والجهات الأربع لمسجد فضيح خمسة عشر ذراعا قد أحيط أطرافه الأربعة بجدار من حجر أسود دون مؤنة وكان أبو أيوب الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ يسهر فى المكان الذى كان فيه مسجد فضيح قبل حرب بنى النضير. فسمعوا خبر تحريم الخمر فجأة وأراقوا ما فى أيديهم من الفضيح وسموا بعد ذلك المكان بالفضيح. وكانت إراقة الشراب فى ذلك المكان قبل أن يتخذ مسجدا وقبل أن يعرف أن الخمر بخسة مطلقا. وكان النبى ﷺ قد أمر أصحابه الكرام أن ينصبوا خيامهم فى مكان قريب من مسجد فضيح فى غزوة بنى النضير. واتخذ المكان الذى سمر فيه أبو أيوب الأنصارى مصلى وصلى فيه ما يقرب من ست ليال.

هذا وهناك من يطلق على مسجد الفضيح «مسجد الشمس»، ولكن إذا ما نظر إلى وقوع قصة رد الشمس الصحيحة المشهورة فى صحراء خيبر فخطأ هذ الرأى واضح.

كان مسجد الفضيح قد نسى تماما فى العصر الأخير وبناء عليه خربت مبانيه وإنهدمت آثار أساسه وانمحت فمسحت من الذاكرة حتى ساحة بنائه، إلا أن

مصطفى أفندى عشقى من المجاورين فى المدينة جدده فى سنة ١٢٦٦هـ ووفق فى إحيائه، وجدده مؤخرا السلطان عبد المجيد فى صورة لائقة فطول أبنيته وعرضها أحد عشر ذراعا.

وخلف الجدار القبلى للمسجد بستانان مشهوران ومعموران وهما الأشرية وسايور وبجانبهما قرية وحصن وأطلال بيدر عظيم.

٣ـ الثالث مسجد بنى قريظة:

مسجد بنى قريظة أمام باب حديقة النخيل والمعروفة بالحاجزة فى تلال قرية بنى قريظة من جهة الشرق، وجهاته الأربعة أربعة وأربعون ذراعا وعلى جوانبه آثار أطلال منازل بنى قريظة.

بنى ذلك المسجد الشريف الوليد بن عبد الملك وضم إليه ساحة منزل إحدى نساء بنى خضر، لأن النبى ﷺ كان قد صلى فى ذلك المنزل. وساحة هذا المنزل الآن بجانب مئذنة ذلك المسجد الحالية.

كان الأصحاب الكرام قد استقبلوا سعد بن معاذ فى غزوة بنى قريظة فى ساحة ذلك المنزل. يعنى أن الأصحاب الكرام من قبيلة الأوس استقبلوا سعد بن معاذ الذى تُرك لرأيه اختيار الجزاء اللائق ليهود بنى قريظة وقالوا له: «يا سعد! إن النبى ﷺ قد أحال لك تحديد الجزاء الذى يستحقه يهود بنى قريظة وبما أن لنا مع هذه القبيلة حقوق ومعرفة قديمة نرجو منك ألا تضيع هذه الحقوق والمعرفة». كان قديما لمسجد بنى قريظة ١٦ عمودا ومئذنة واحدة مثل مسجد قباء. وفيما بعد انهارت مئذنته وأعمدته وجدران أطرافه واندرست، وظلت قاعدة مئذنته فى الركن الغربى الشمالى من خرابته، فأحاطوه فى سنة ٧٢٠هـ بجدار. وقد جدد ذلك الجدار شاهين الشجاعى سنة ٨٩٣هـ وأسس على قاعدة مئذنته صفة جيدة وهكذا عاد المسجد إلى حالته القديمة، وطول مسجد بنى قريظة وعرضه أربعة وأربعون ذراعا، ولما كان خاليا من السقف فالذين يصلون فى داخله يكونون غير مصونين من حرارة الشمس.

٤ـ المسجد الرابع هو مسجد مشربة أم إبراهيم:[١]

مشربة أم إبراهيم معبد جميل فى فى الطرف الشرقى لمسجد بنى قريظة وهو بجوار التل وبين حديقة أشراف القواسم[٢].

ومشربة أم إبراهيم من الصدقات التى انتقلت إلى النبى ﷺ من مخاديق اليهود وكانت فى الماضى حوش جميل واقع بين بيوته وهو خاص بإقامة مارية القبطية وهو مسقط رأس إبراهيم. وحينما كانت أم إبراهيم تضع مولودها اتكأت إلى شجرة ويقال إن هذه الشجرة مازالت قائمة إلى الآن.

وقد ثبت أن النبى ﷺ صلَّى فى مشربة أم إبراهيم، لذا اتخذت ساحة الحوش سالف الذكر مصلى وطول هذا المسجد أربعة عشر ذراعًا وعرضه تسعة أذرع وقد هدمت أبنيته واندرس أساسه وجداره، وأحيط مؤخرا بجدار منخفض وأرى أنه ساحة المسجد النبوى الشريف.

وعلى الجهة الشمالية من مسجد مشربة أم إبراهيم ساحة منزل خرب يزورها الناس على أنها منزل دار بنى مازن بن النجار فالناس مخطئون فى ظنهم. وهذا المنزل الذى يزار بناء على ظن دون سند طوله أحد عشر ذراعا وعرضه أربعة عشر ذراعا وفى الجهة الشرقية منه سقف لطيف وبالقرب منه حديقة نخيل يعرف بالنخل الزبيرى وهذه الحديقة حديقة النخيل التى وقفها الزبير بن العوام.

٥ـ المسجد الخامس بنى ظفر:

بنو ظفر أحفاد جماعة من قبيلة الأوس ويطلق على معبدهم الذى فى جانب الحرة القريبة التى تقع فى الجهة الشرقية من بقيع الغرقد مسجد بغلة أيضا.

بعد أن صلى إمام الأنبياء ﷺ فى هذا المكان المقدس جلس على صخرة بجانبه، وبعد ذلك كلما جلست فوق هذه الصخرة امرأة عقيمة كانت تحمل

(١) المشربة بمعنى العريشة.

(٢) المراد بأشراف القواسم أبناء قاسم بن إدريس بن جعفر وهو أخو جعفر بن حسن العسكرى.

دائما، وأراد زياد بن عبيد انتزاع تلك الصخرة من مكانها لينقلها إلى مكان آخر، إلا أنه لم يتجرأ على ذلك بسبب معارضة علماء عصره، وليس هناك فى زماننا حجر مثل ذلك، ولكن الحجر الموجود على يسار باب مسجد بغلة ليس بعيد أن تكون تلك الصخرة التى سبق ذكرها.

وجلس النبى ﷺ فوق تلك الصخرة المذكورة وطلب أن يتلو عشر من القرآن الكريم وكان معه خادمه محمود العاقبة عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وغيرهما من الفضلاء.

وشرع أحد الصحابة ـ بعد البسملة ـ فى تلاوة العشر إلى أن جاء إلى الآية:

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ (النساء: ٤١-٤٢)

عندئذ تأثر النبى ﷺ تأثرا شديدا وبكى بكاء حتى اخْضَلَّتْ لحيته الشريفة بالدموع.

وليس لمسجد بنى ظفر أعمدة ولكن له محراب وطول جهاته الأربعة واحد وعشرون ذراعًا وقد تخربت أبنيته وقد رممه أبو جعفر المنصور المستنصر بالله خلال عام ٦٣٠هـ وكتبت على كمر بابه عبارة: «خلد الله الملك الإمام أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين عمره سنة ثلاثين وستمائة»

إلا أنه آل إلى السقوط والانهيار فيما بعد فجدده شيخ الحرم مصطفى مظلوم أغا وأقام إلى جانبه مسجدين فى عام ١٠٣٢هـ، ويسمى أحد المسجدين مسجد بغلة ويسمى الآخر مسجد المائدة ولما كانت فى مسجد بغلة بعض آثار الحوافر يروى موثوقًا بأن هذا الموقع هو مبرك ناقة النبى ﷺ.

وفى خارج مسجد بغلة حجر، وفى هذا الحجر خدوش ويعتقد أهل المدينة أن هذه الخدوش أثر حوافر بغلة النبى ﷺ وفى الجهة الغربية لهذا الحجر حجر آخر

عليه حفرة هى أثر مرفق النبى ﷺ، وإلى جانبه حجر آخر فيه حفر هى آثار أصابعه عليه السلام وجاءت فى ذلك رواية موثوقة.

٦ـ السادس مسجد الإجابة:

يقع هذا المسجد فى الطرف الشمالى لمقبرة بقيع الغرقد، وعلى يسرة الذاهب إلى محلة العريضى وطوله خمسة وعشرون ذراعًا وعرضه عشرون ذراعًا وقد أرسى أساس هذا المسجد وسط قرية بنى معاوية بن مالك بن عوف الأوسى، ويقال إن ثمة أنقاضًا فى أطرافه هى أنقاض بيوت القرية المذكورة.

وقد ذهب النبى ﷺ مع بعض صحابته إلى مسجد الإجابة وصلى فيه ركعتين وبعد السلام دعا دعاء طويلاً وبعد ما انتهى منه قال: «قد طلبت فى هذا الدعاء من معطى العطايا ثلاثة أشياء قبل هذان منهما ورد واحدًا، أما الدعاءان اللذان قبلا فهما ألا تهلك أمتى بالقحط والغرق أما الدعاء الذى لم يستجب له رفع الخلاف والمباينة والاختلاف بين أهل الإيمان».

يروون نقلاً عن عبد الله بن جابر بن عتبة أن عبد الله تحدث على هذه الوتيرة: «حينما كنت فى قرية بنى معاوية جاء عبد الله بن عمر بن الخطاب، وقال: يا عبد الله! هل تعرف المكان الذى أدى فيه النبى الصلاة فى مسجد الإجابة والأشياء الثلاثة التى طلب من الله عقب صلاته؟ فقلت له ـ نعم أعرف. وبعد ما أريته المكان الذى صلى فيه الرسول ﷺ قلت أما دعاؤه فكان ألا تهلك أمته بالقحط والغرق. وألا يقع بين المسلمين اختلاف وقتال فقبل عدم هلاك أمته بالقحط والغرق ورُدَّ طلبه بعدم وقوع خلاف بين أمته. وهكذا فصلت له الواقع، فقال ابن الخليفة يظهر أن الأمة المحمدية ستتقاتل فيما بينها إلى يوم القيامة»[1]، وأيد روايتى بهذا القول وصرح بأنه واقف لذلك الحديث.

كان النبى ﷺ سيد العالمين قد صلى ركعتين على مسافة ذراعين من يمين محراب مسجد الإجابة والذين يعرفون ذلك من الزوار عندما يزورون مسجد الإجابة. يحرصون على أداء الصلاة فيه على بعد ذراعين من يمين المحراب.

(١) الحديث من رواية ابن عباس ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١/ ١١٧.

رواية

يروى أهل المدينة المنورة أن مسجد الإجابة مجمع الأقطاب ويحكون أن أثر الفضلاء الذين لم يُرَوا فى المدينة المنورة يمكن رؤيتهم فى داخل هذا المسجد وهم يتعبدون فى حلقات.

يطلق فى المدينة المنورة على الأشخاص الذى يزورون المدينة المنورة فى موسم الحج أشخاص مجهولون، فلا يفهم من هذا أن زيارة هذا المسجد حصر على مواسم الحج؛ لأنه قد رئى فى داخل هذا المسجد فى ليالى الجمعة والاثنين بعض الذوات يذكرون الله موحدين فى حلقات وإن هؤلاء ليسوا من سكان دار السكينة والنواحى القريبة منها.

ولا حاجة هناك لإثبات أن مسجد الإجابة من الآثار المقدسة بروايات الأهالى. وكما هو معروف لزوار هذا المسجد اللطيف كلما يراه الإنسان يرتعش جسمه من المهابة التى أحدثها الروحانيون فيه.

كما أن باب هذا المسجد يترك ليلاً ونهارًا مفتوحًا وليس له حراس ولا خدم ولا مراقبون ومع ذلك لا يدخل فيه حيوان، أليس هذا دليلاً كافيًا لإثبات المدعى.

ويروى موثوقًا أن خضر عليه السلام يصلى كل يوم صلاة الإشراق فى مسجد الإجابة. ومع هذا كان لهذا المسجد فى أوائل سلطنة السلطان محمود خان الثانى عدة أسطوانات ومحراب جميلة؛ وفيما بعد تهدمت أبنيته ومحرابه المذكور وأعمدته حتى الأرض وظل فى حالة خراب إلى عهد السلطان محمود خان الثانى. الذى عمره وأحياه بتجديده، كما أن السلطان عبد المجيد خان اهتم بترميمه وتعميره، والآن هو عامر كالمساجد الأخرى ومعروف بين الأهالى ومشهور.

دعاء مسجد الفتح:

لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش الكريم، اللهم لك الحمد هديتنى من الضلالة، فلا مكرم لمن أهنت ولا مهين لمن أكرمت، ولا معز لمن أذللت ولا مذل لمن أعززت، ولا ناصر لمن خذلت، ولا خاذل لمن نصرت، ولا معطى لما منعت، ولا مانع لما أعطيت ولا رازق لما حرمت، ولا حارم لما رزقت، ولا رافع لمن خفضت، ولا خافض لمن رفعت، ولا خارق لمن سترت، ولا ساتر لمن خرقت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مبعد لمن قربت، اللهم أنت عضدى ونصيرى بك أحول وبك أصول وبك أقاتل، اللهم يا نصير المستصرخين والمكروبين، ويا غياث المستغيثين، ويا مفرج كرب المكروبين، ويا مجيب دعوة المضطرين، صلى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم واكشف عنى كربى وهمى وحزنى وغمى كما كشفت عن حبيبك ورسولك ﷺ كربه وحزنه وهمه فى هذا المقام وأنا أستشفع إليك به ﷺ فى ذلك فقد ترى حالى وتعلم عجزى وضعفى يا حنان يا منان يا ذا الجود والإحسان أسألك من خير ما سألك منه عبدك وحبيبك سيدنا محمد ﷺ وأستعيذ بك من شر ما استعاذ بك منه عبدك وحبيبك سيدنا محمد ﷺ. انتهى.

إخطار

بعدما ينتهى الزوار من هذا الدعاء يقتضى الأمر أن يعرضوا ما فى ضمائرهم بأية لغة كانت، وفى الطرف الغربى منه مسجد أبى بكر وبالقرب منه صهريج وفوق الصهريج غرفة، وهذه الغرفة من أوقاف إبراهيم أغا بانى هذا الصهريج. وفى الجهة الغربية من ذلك الصهريج بستان كبير. وبما أن موقع هذه الحديقة طيب الهواء وجميل المنظر وبنى فى مكان مناسب منها فى تاريخ ١٠٤٨ سبيل حسن فيجلس المارون والعابرون بجانبه ويدعون لصاحب الوقف بالخير. انتهى.

وبما أن المساجد الثلاثة التى سبق تعريفها فى جهة جبل سلع حيث اتخذ حجاج القوافل الشامية النزول حول هذا الجبل عادة مرعية استنبتت فى الجهة الغربية من هذا الجبل كثير من البساتين والمزارع. وتنزل القوافل الشامية فى الجهة

الشرقية من هذه البساتين والمزارع وتقيم هناك حسب المدة اللازمة، والبساتين المشهورة مثل المكارية، السنانية، الحمامية، الفيروز التى تنسب إلى الوزير مصطفى باشا فهى فى المحل الذى تنزل فيه قوافل الشام وتقيم هناك.

٧- كهف سلع

تطلق على هذه المغارة الشريفة كهف بنى خرام فهو فى مطلع بنى خرام الذى أمامه حديقة النقيبة وعلى يمين الذين يتجهون من المدينة المنورة إلى مساجد الفتح الثلاثة. وعلى هذا التقدير تظل حديقة النقيبة على يسار الذاهبين إلى الكهف المقدس المذكور.

مطلع بنى خرام ـ هو المكان الذى كان يسكنه قديمًا أفراد قبيلة بنى خرام، ومازالت أطلال ديارهم ماثلة للأعين إلى اليوم.

تقع حديقة النقيبة فى مجرى السيل الذى يجرى من جبل سلع إلى وادى البطحان وكهف بنى خرام فى الجهة اليمنى من مقدم الجهة الشرقية لهذا المجرى. وإن كانت من جبل سلع وعلى ربوه صغيرة ويصعد إليه من جهته الشرقية والشمالية بسلالم.

وفى الناحية القبلية لهذا المسجد مسجدان كذلك ويسميان بمسجد الفتح أيضًا ولكن وجه تسميته بالفتح أن النبى ﷺ قد دعا الله على ساحة هذا المسجد فى غزوة الأحزاب ابتداء من يوم الاثنين إلى يوم الأربعاء وقد استجيب لدعاء النبى ﷺ فى يوم الأربعاء بين الصلاتين فانهزمت أحزاب المشركين حالا وخابت آمالها.

إذا كان الدعاء فى مسجد الفتح قرين الإخلاص فلابد أن ينال القبول والاستجابة لدى الله ـ سبحانه وتعالى ـ ويروون أن حضرة جابر قال: ما من حاجة رجوت من الله تحقيقها فى مسجد الفتح إلا ونلت أملى.

كان النبى ﷺ فى ابتداء غزوة الأحزاب فى مكان يطلق عليه جرف ثم انتقل إلى محل مسجد الفتح وشارك معظم الصحابة الكرام فى دعائه وواظبوا عليه.

ولقد أكثروا من الابتهال والتضرع إلى الله حتى دام ذلك فى الصباح حتى المساء، حتى إنهم لم يستطيعوا أداء صلوات الظهر والعصر والمغرب وقاموا بعد المغرب وصلوا صلوات الأوقات الثلاثة فى وقت واحد على ساحة الفتح. والمكان المبارك الذى أدى فيه النبى ﷺ يقع فى الساحة الرملية لذلك المسجد وفى مواجهة المحراب، وإذا ما نظرنا إلى وضعه الحالى فإنه فى المكان الذى ركز فيه العمود الثانى؛ لأن لمسجد الفتح ثلاثة أعمدة متحاذية.

التأسف

وبناء على تعريف المؤرخين أن المكان المبارك الذى أدى فيه النبى ﷺ صلاته هو المكان الذى ركز فيه العمود الثانى ولشدة الأسف عندما جدد ذلك المسجد من قبل السلطان عبد المجيد فى سنة (١٢٧٠هـ) انتزع المختصون بأمور البناء العمود الثانى عن مكانه وغرسوه فى مكان آخر بسبب جهلهم، فمكان ذلك الأثر مجهول الآن.

وفى الجهة القبلية من مسجد الفتح مسجد سليمان وخلفه مسجد على وخلف مسجد على مسجد أبو بكر.

وهدم الأمير سيف الدين الحسين بن أبى الهيجاء من وزراء الملوك العبيديين المصرية سنة ٥٧٥هـ مسجد الفتح وفى سنة ٥٧٩هـ مسجد سلمان وجددت فيما بعد على أشكال جميلة كما أن أحد أهل السنة جدد مسجد أبى بكر فى سنة ٦٠٢هـ فأصبح مثل المساجد الأخرى.

وطول مسجد الفتح عشرون ذراعًا وعرضه (١٧) ذراعًا وطول مسجد سلمان (١٧) ذراعًا وعرضه (١٤) ذراعًا وطول مسجد على (١٦) ذراعًا وعرضه (١٣) ذراعًا وكان صلحاء الإسلام عندما يزورون مسجد الفتح يدعون بالدعاء الذى مر ذكره:

هنا مغارة أخرى إلا أن المغارة التى نحن بصدد تعريفها على يمين مطلع بنى خرام وكان النبى ﷺ يبيت فيها قائمًا يصلى لخالق العباد.

٨ـ المسجد الثامن مسجد القبلتين:

يقع مسجد القبلتين فى ناحية بئر عثمان بجبل سلع، وله محرابان ينظر أحدهما إلى البيت المقدس والآخر إلى الكعبة المعظمة، وإن كان بعض المؤرخين قالوا إن تحويل القبلة حدث فى مسجد بنى حرام الذى يقع فى صحراء خالية، إلا أنهم مخطئون فى ادعائهم. لأن مسجد القبلتين كان فى قرية بنى سلمة وكان معروفًا فى ذلك الوقت بمسجد بنى سلمة بينما كان النبى ﷺ يؤدى صلاة الظهر فى مسجد بنى سلمة مستقبلاً بيت المقدس توجه إلى ميزاب الكعبة: وهذا هو سبب اشتهار هذا المسجد بمسجد القبلتين.

استطراد

بينما كان سيد البشر ﷺ، يزور مقلمة أم بشر بن البراء بن معرور ـ رضى الله عنها ـ يوم الاثنين فى أواخر شهر رجب الفرد فى السنة الثانية للهجرة وكانت من ساكنات محلة بنى سلمة إذ حان وقت صلاة الظهر بعد أن تناول الرسول ﷺ الطعام مضى إلى مسجد المحلة المذكورة ليؤدى صلاة الظهر.

وقام مصليًا، وبينما كان فى الركعة الثانية من الفرض نزلت الآية الكريمة:

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة: ١٤٠).

فاستقبل النبى ﷺ البيت الحرام وهو يصلى فتبعته الجماعة الحاضرة واستقبلوا مع الرسول ﷺ الكعبة المعظمة وأتموا صلاتهم وسموا المسجد بمسجد القبلتين.

وكان النبى ﷺ إمام المتقين حزينًا، لأنه يستدبر البيت الحرام متجهًا إلى القدس لأنه كان يسمع بأذنه ما تقوله اليهود: «إن محمد يستقبل قبلتنا ويحتقر ديننا» ولما تحولت القبلة قد سر سروراً لا حد له.

وقد تخرب مسجد القبلتين بمرور الزمان وتقلبات الأيام وفى عام (٨٩٣هـ) جدد شاهين الشجاعى سقفه فقط وأقام حوله جدارًا صغيرًا فحافظ على ساحته الرملية. إن سطح ذلك المسجد المقدس يرتفع عن سطح الأرض مقدار ذراعين وقد سمع رواية أن بابه خال من المصاريع وجدران أطرافه أشرفت على الخراب بعد تشققها. وقد رئى ذلك ذاتيًا فى سنة ٨٩٢هـ، وبما أن جميع آثار الحرمين تعمر وترمم تحت عناية السلطان وظله فلا شك أن هذا المسجد أيضًا سيعمر على الوجه اللائق.

٩ـ التاسع مسجد السقيا:

إن معبد السقيا اللطيف يقع فى جهة مكة وفى الجهة الغربية عن طريق المدرج قليلاً حيث فرق ﷺ مجاهدى ملحمة بدر الكبرى ودعا لأوزان طيبة وأكيالها بالخير والبركة.

كان هذا المسجد قد خرب تمامًا واندرس أساسه ولم يعرف مكانه، فليرض الله عن الإمام السمهودى الذى بذل جهودًا مدة طويلة حتى وجد أطلاله ومكان محرابه وأظهر ساحته وكشفها، وإن كان أساس جدرانه قد ظل تحت التراب مقدار نصف ذراع إلا أن الإمام المذكور قد رفع عنه التراب وبنى جدران أطرافه الأربعة وأعاد بناءه بقدر كاف وأعاده إلى هيئته الأولى. والآن طول كل ضلع من أضلاعه الأربعة سبعة أذرع، ولكن الأبنية التى جددها الإمام السمهودى لم تصمد طويلاً فتخربت، وفى العصر العثمانى جدده قاسم أغا من قواد جيش العثمانيين وهو أحد أصحاب الخير، كما ظهر وعمق بئر السقيا الذى بجواره، ويعرف الآن بئر السقيا بسبيل قاسم أغا.

١٠ـ العاشر مسجد الذبابة:

ويسمى أهل المدينة مسجد الإجابة بمسجد راية أيضًا. ويقع هذا المسجد على يسار القادمين من الشام إلى المدينة المنورة وهو على جبل صغير وفى مكان قريب

من ثنية الوداع وفى رواية موثوقة أن النبى ﷺ نصب خياما فى ساحة هذ المسجد وصلى فيها.

كان مروان بن الحكم قد قتل أحد الأشخاص يسمى ذباب وأتى به فى ساحة يطلق عليها ذباب وهى نفس ساحة ذلك المسجد المقدس، وصلبه وشهر به هناك، فعاتبته الصديقة زوجة الرسول السيدة عائشة قائلة له: كان الرسول ﷺ يؤدى الصلاة فى ذلك المكان المبارك، وأنت تجرأت أن تتخذ مصلى النبى مصلبًا؛ لذلك استحققت أن تكون مظهرًا للخذلان.

وكان القتيل المذكور رجلا من اليمن، وكان عامل مروان على اليمن قد اغتصب وأخذ ثور المذكور، وعندما فصل العامل من عمله تتبعه ذباب إلى المدينة وقتل الرجل فاعتقل من قبل مروان وقبض عليه وصلب. وبعد قتل ذباب فى هذا المكان أصبح هذا المكان مصلبًا للأمراء إلا أن هشام بن عروة قال لزياد بن عبد الله أحد ولاة المدينة وا أسفاه!! لقد اتخذ موضع خيمة النبى ﷺ مكانا للصلب، وأصبح شغل الحكومة الشاغل الآن العمل على خلاف الآداب المرعية وبناء على هذا القول أبطلت عادة صلب الناس فى هذا الموضع. عندما اصطف فى غزوة الخندق كان النبى ﷺ قد نصب خيمة على جبل ذبابة وهناك من يدعى أن النبى ﷺ نصب خيمته فى غزوة الخندق على ساحة مسجد الفتح وإن كانت صحة هذه الرواية ظاهرة إلا أن النبى ﷺ لم يبق فى مسجد الفتح فقط بل وجد فى مسجد ذبابة أيضًا. ولما استجيب لدعائه فى ساحة مسجد الفتح أطلق على المسجد الذى أقيم على هذه الساحة مسجد الفتح. كانت أبنية مسجد ذبابة قد خربت تمامًا وانمحى أثر أساسه إلا أن أحد أهل الخير يسمى فيروزى أمين مرجان عمر وجدد هذا المسجد فى سنة ٨٤٥ أو ٨٤٦؛ رحمة الله عليه...

١١ - المسجد الحادى عشر مسجد أحد:

ولما كان مسجد أحد فى مكان ملاصق لجبل أحد فيظل على يمين الذاهبين إلى مهراس بطريق بين الجبل، ولما كانت مبانى جبل أحد صغيرة جدًا وقديمة قد

خربت وكان معروفًا إلى سنة ١٢٦٩هـ بمسجد الفتح، فعمره فى السنة المرقومة مصطفى عشقى أفندى من مجاورى المدينة وأحياه وبهذا أنقذ ساحته من أن تكون مقرًا للدواب، وطول المسجد ثمانية عشر ذراعًا وعرضه اثنا عشر ذراعًا.

كان النبى إمام الأصفياء ﷺ، قد أدى صلاة الظهر والعصر على ساحة هذا المسجد فى ختام غزوة أحد، ونزلت عليه الآية الكريمة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (المجادلة: ١١).

١٢ـ المسجد الثانى عشر مسجد ركن جبل عينين:

يقع هذا المسجد فوق قمة الجبل الذى أمام مشهد حمزة بن عبدالمطلب ـ رضى الله عنه ـ والجهة الشرقية منه وكانت مبانيها خربة إلى سنة ١٢٦٧هـ وكان أساس خرائبه مجهولاً. وعثر عليه فى السنة المذكورة المرحوم عشقى أفندى من مجاورى المدينة وجدده، إن ما يطلق عليه مسجد «صرعه» هو نفس هذا المسجد ومساحته السطحية طولاً وعرضًا ثمانية عشر ذراعًا.

وقد كلُف أربعون من الرّماة تحت قيادة عبد الله بن جبير للدفاع عن ظهر الجيش الإسلامى ووضعوا فى ساحة هذا المسجد، قد أصيب حضرة حمزة فى هذا المكان ونال رتبة الشهادة العالية، ويروى أن جسرًا كان قائمًا بالقرب من هذا المكان، فى عصر السعادة وأن النبى ﷺ قد صلى بجانب ذلك الجسر وهو مسلح فى وقفة أحد، ولكن فى زماننا لم يبق لذلك الجسر أى أثر.

١٣ـ المسجد الثالث عشر مسجد الوادى:

يقع هذا المسجد فى الطرف الشمالى لجبل العينين وفى مكان قريب من مسجد ركن جبل العينين. كانت أبنيته القديمة بنيت بأحجار منقوشة فى غاية من الزينة والمتانة وقد أشرفت على الخراب والانهدام، وجَدَّده فى خلال سنة ٥٠٨هـ

حسين بن أبى الهيجاء وكتب على طاق بابه: «هذا مصرع حمزة بن عبد المطلب ومصلى رسول الله ﷺ عمره حسين بن أبى الهيجاء سنة ثمان وخمسمائة».

وكان حضرة حمزة قد طعن فى ساحة مسجد ركن الجبل وسقط على ساحة مسجد الوادى، وأمر النبى ﷺ بإحضار جثمانه على ساحة مسجد الوادى الذى سبق تعريفه وصلى عليه.

وعلى رواية: أنه أدى صلاة الصبح فى هذا المكان ذلك اليوم هناك بين مسجد الوادى ومشهد حمزة.

وفى الجهة الغربية من المسجد المذكور مبنى مقبب يعرف باسم قبة الثنايا وهو أثر من آثار المرحوم سليم بك أحد كاتمى أسرار السلطان عبد المجيد وزملائه، كانت ثنية النبى ﷺ قد تكسرت فى هذا المكان الذى تحت القبة.

مع أن هذا المكان المبارك مركز وقعة أحد الأليمة إلا أنه أصبح الآن مسيرة للناس، قد بنى هناك كثير من المحال والمنازل واعتاد الأهالى أن يذهبوا هناك من وقت لآخر.

وفى مواسم الحج يشتد الزحام هناك ليلاً ونهارًا، ولا سيما عندما ترد طائفة الرحبيين ويقيم أهل المدينة فى المنازل التى هناك ويبذلون جهدهم ليحملوا الزوار والواردين على الزيارة، ولكن بهجة هذا المكان وزيارة آثاره تكون مهددة بأطماع عربان البادية وإذا طغى العربان وثاروا فلا مجال لذهاب الزائرين إلى هناك كما أنه ليس فى الإمكان إقامة الأهالى فى تلك البيوت آمنين مستريحين. وفى مثل هذه الأوقات يذهب الزوار فى جماعات كبيرة حتى يستطيعوا أن يدافعوا عن أنفسهم ضد اللصوص والمسلحين، وإذا ما اقتضى الأمر حربهم فإنهم يقاتلون العربان ويشتتون شملهم.

ومن يخرجون من أهل المدينة لزيارة شهداء أحد يحملون السلاح، ويقولون إن حمل السلاح عند زيارة شهداء أحد سنة شريفة، لأن النبى ﷺ كان يحمل السلاح حينما كان يزور شهداء أحد.

١٤ـ المسجد الرابع عشر مسجد السافلة:

يقع هذا المسجد على يمين المتوجه إلى قبر حمزة وهو بالقرب من حديقة نخيل تسمى بجير وهو فى بقيع الأسواق فى طرف جبل حنين ويبلغ طوله ثمانية أذرع ويعرف بمسجد «أبى ذر الغفارى».

ويروى أن عبد الرحمن بن عوف[1] قال شخصيًا: إنه بينما كان فى الساحة الرملية لمسجد «سافلة» رأى النبى ﷺ وقد خرج من الباب الذى فى جهة المقبرة ودخل إلى حديقة فى الأسواق حيث توضأ وصلى ركعتين ثم سجد، وبعد مدة رفع رأسه المبارك وقال إن جبريل ـ عليه السلام ـ نزل اليوم باسطًا أجنحته وأنزل قول الله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (الأحزاب: ٥٦).

وفى هذه البقعة كذلك مسجد الثنية، وإلى عام ١٢٥٥هـ كان مجهول الاسم والمكان. وفى خلال هذا العام عثر عشقى أفندى على موضعه، وهذا المسجد يقع على ناحية إلى مسجد الفتح من مسجد حمزة، وهو مسجد صغير وطوله وعرضه خمسة عشر ذراعًا.

وأهل المدينة يدعون الزوار إلى زيارة موضعين آخرين فى هذا الموقع.

أحدهما: صخرة عظيمة ملاصقة لجبل أحد ولها فتحة قدر حجم رأس الإنسان، ويعتقد الزوار أنها أثر رأس النبى ﷺ.

والآخر: غار على مسافة من هذه الصخرة، ويقولون إن النبى ﷺ دخل فى هذا الغار، إلا أن هذان القولان ما هما إلا وهم وظن، ولو كانتا من الروايات الصحيحة لكان المؤرخون القدماء ذكروهما فى كتبهم وبينوهما.

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٥٦١، تفسير سورة الأحزاب الآية ٥٦.

١٥ـ المسجد الخامس عشر مسجد البقيع:

يقع هذا المسجد على يمنة الخارج من باب مقبرة جنة البقيع وهو فى غرب قبر عقيل، وقبور أمهات المؤمنين ويقال إن عمودًا واحدًا تبقى من مبناه القديم. وكان لهذا المسجد عقدان قديمان ومصنوعان من الحجر المنقوش. وكانت أنقاض هذين العقدين ظاهرة ماثلة للعين إلى عام ٧٢٠هـ وبما أن شاهين الجمالى جدده فى نفس العام لم يبق لهما أثر الآن.

ولما كان مسجد البقيع متصلاً بدار أبى بن كعب كان اسم المسجد القديم «مسجد أبى بن كعب» واشتهر فى فترة ما باسم مسجد جديلة وكذلك.

وقد صلى النبى ﷺ مرارًا وتكرارًا فى مسجد البقيع وقال ﷺ لو لم أحترز من اقتداء الناس بى وميلهم للصلاة فيه لأكثرت من الصلاة فى هذا المكان.

وظل مسجد البقيع فيما بعد خربا تمام الخراب، وفى عام ١٢٦٥هـ أمر محافظ المدينة المنورة شمس الدين أفندى بإقامة جدار حوله فى ارتفاع ثلاثة أذرع وبهذا أنقذ المسجد من قاذورات البهائم.

وفى الجهة الشرقية من هذا المسجد قبور كثيرة لأعاظم السلف وفضلائهم ومن هذه القبور قبور صاحب الطريقة محمد سمان المدنى وأولاده.

فى ذكر المساجد التى تعرف جهاتها ولا تعرف مواضعها

١ـ المسجد الأول مسجد جديلة:

ويظهر أن هذا المسجد هو المسجد المنسوب إلى أبى بن كعب وقد ذكر جهته عندما ذكر مسجد البقيع.

٢ـ المسجد الثانى مسجد بنى حرام:

يقع هذا المسجد غرب مساجد الفتح فى وادى البطحان وبين جبل بنى عبيد وبئر معاوية وروىَ عن جابر أن النبى ﷺ صلّى فى هذا المسجد.

وكان فى المحل المذكور مسجد محلة بنىَ حرام، ومازالت أطلاله قائمة إلى الآن إلا أن المسجد الشريف خرب ولا يرى أساسه ومبانيه.

٣ـ المسجد الثالث مسجد الخربة:

وبما أن بطن بنى عبيد الذى ينحدر من قبيلة بنى سلمة قد أقاموا فوق جبل الدويخل القريب من جبل بنى عبيد وفى الجهة الغربية من قرية «بنى خرام» يلزم أن يكون مسجد الخربة فوق جبل بنى عبيد.

قد زار النبى ﷺ دار لبراء معرور من أهالى قرية بنى خرام وقد صلى النبى ﷺ فى موضع يسمى قراضة خلف نخل جابر بن عبد الله ولذلك فلا شك فى أن هذا المكان هو ساحة مسجد الخربة.

٤ـ المسجد الرابع مسجد جهينة:

كان هذا المسجد فى داخل القرية التى تنسب إلى قبيلة جهينة والتى تقع بين ثنية عثعث وجبل سلع وقد نصب بعض الأشخاص من قبيلة بلى والذين هاجروا

إلى القرية المنسوبة إلى قبيلة جهينة خيامهم حول هذا المسجد حيث أقاموا لفترة طويلة، ظل مسجد «بلى» اسما آخر لهذا المسجد قد شرف النبى ﷺ قرية جهينة على دعوة أبى مريم الجهينى وخط حول ساحة المسجد الذى سبق تعريفه خطًا وطلب منهم أن يصلوا فى داخله. وأسرع أفراد هاتين القبيلتين ببناء مسجد فوق الخط الذى خطه النبى ﷺ حيث أدوا صلواتهم. وقد خرب فيما بعد مسجد جهينة ولم لا موقعه ولا خرابته.

٥ـ المسجد الخامس مسجد بيوت المطر:

يقع فى الجهة الغربية للطريق المقابل للجهة القبلية لثنية عثعث.

وكان أفراد قبيلة بنى غفار يؤدون الصلاة فى ساحة هذا المسجد.

وقد ثبت أن النبى ﷺ صلى فى هذا المسجد إلا أن أبنيته تهدمت بمرور الزمن ولم تجدد ولم يبق أحد فى زماننا يعرف أساس أطلاله.

٦ـ السادس مسجد بنى زريق:

بنى زريق اسم قبيلة ينتهى نسبها إلى الخزرج بن ثعلبة، وهذا المسجد المنسوب إلى تلك الجماعة فى ثنية الوداع التى تبعد عن سور المدينة مقدار ميل واحد، ولا يستطيع أحد أن يعين موضعه فى يومنًا الحاضر. وروى المؤرخون أن شمس الدين محمد بن أحمد السلاوى بنى فى سنة ٨٥٠هـ مسجدين، أحدهما مسجد بنى زريق إلا أنهم ترددوا فى تعيين وتحديد واحد منها على أنه مسجد زريق.

ولقد التقى رافع بن مالك الزرقى[1] فى عقبة جبل ثبير بمكة المكرمة مع النبى ﷺ وتعلم منه عدة آيات كريمة ثم عاد إلى المدينة وجمع قومه فى ساحة مسجد بنى زريق وتلى ما تلقاه عن النبى ﷺ من الآيات الكريمة، وبذلك تُلى القرآن الكريم فى المدينة المنورة أول ما تُلى فى هذا المسجد.

(١) أحد النقباء الذين بايعوا النبى ﷺ بالعقبة، وأول من قدم المدينة بسورة يوسف. لما لقى رسول الله ﷺ بالعقبة وبايعه أعطاه ما أنزل عليه من القرآن فى العشر السنين التى خلت فقدم به المدينة وجمع قومه فقرأ عليهم فى موضعه. انظر: الأصابة ٢/١٨٩-١٩٠.

ولم يصل النبى ﷺ فى هذا المسجد بل توضأ فى ساحته ولبث فيها وقتًا للراحة، فتحصلت البركة للمسجد وهو محل مبارك فى غاية اللطف ويقع على يمين الداخلين فى حصن المدينة المنورة.

٧ـ المسجد السابع مسجد بنى ساعدة:

مسجد بنى ساعدة مسجد فى غاية القداسة ويقع فى المدينة المنورة وفى داخل محلة[١] بنى ساعدة، وسقيفة[٢] بنى ساعدة تقع بجانبه.

جلس النبى ﷺ يومًا فى هذه السقيفة وطلب من سهل بن سعد أن يسقيه، فشرب ما أحضره سهل ـ رضى الله عنه ـ من الماء وطلب منه أن يحضر له مرة أخرى فلما أحضر شربه أيضًا وقال ملاطفًا سهل بن سعد يا سهل! الماء الأخير ألذ من الماء الأول وأعذب.

٨ـ المسجد الثامن مسجد بنى ساعدة الآخر:

هذا المسجد قريب من جبل ذبابة ويروى أن النبى ﷺ قد صلى فى هذا المكان أيضًا.

٩ـ المسجد التاسع مسجد بنى خذارة:

مسجد بنى خذارة، بجانب مسجد بنى ساعدة الذى ذكر آنفا وقد رسول الله ﷺ فى هذا المسجد وقص شعره، وكان بنو خذاره الذين ينتسب إليهم المسجد يقيمون بجانب سبيل سعد بن عبادة فى ناحية حصن المدينة.

١٠ـ المسجد العاشر مسجد راتج:

راتج اسم الحصن المشهور الذى يقع فى الطرف الشرقى من جبل ذباب، وكان مسجد راتج بجانب هذا الحصن وبجانب بئر أبى الهيثم بن التيهان المشهور باسم جاسم. كان النبى ﷺ فى هذا الموقع المقدس وشرب من ماء بئر جاسم.

(١) كانت فى الجهة الشمالية لسوق المدينة المنورة وكانت هذه السوق مقبرة لبنى ساعدة وقد ابتاع النبى ﷺ هذا الموضع من بنى ساعدة وجعله سوقًا لأهل المدينة كما ذُكر من قبل.

(٢) هذه هى السقيفة التى بويع فيها أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ بالخلافة.

١١ـ المسجد الحادى عشر مسجد بنى عبد الأشهل:

يقع فى حرة واقم وبين محلة بنى ظفر وبنى حارثة وكان بنو عبد الأشهل المنسوبون إلى قبيلة الأوس يصلون فيه، ويقال لهذا المسجد مسجد واقم كذلك. كان النبى ﷺ كلما شرف محلة عبد الأشهل كان يصلى صلاة المغرب فى مسجد واقم وكان يسبح طويلاً ثم يقول: يقال لهذه الصلاة صلاة البيوت.

وكان من عادة النبى ﷺ أن يتردد كثيراً إلى هذه المحلة فى حياة سعد بن معاذ الأشهلى وما كان يعود كلما شرف المحلة دون أن يصلى صلاتى العصر والمغرب فى ذلك المسجد.

١٢ـ المسجد الثانى عشر مسجد القرصة:

كان هذا المسجد فى الحرة الشرقية الواقعة فى الجهة الشمالية من محلة بنى عبد الأشهل، ولم يكن هناك من يعرف موقعه. وجزم المرحوم الإمام السمهودى أن الخرابة التى بجانب بئر قرصة هى خرابة مسجد القرصة، ومن هناك اقتنع الأهالى بأن هذه الخرابة هى ساحة خرابة المسجد المذكور.

١٣ـ المسجد الثالث عشر مسجد بنى حارثة:

من المؤكد أن مسجد بنى حارثة اللطيف فى قرية بنى حارثة، وبما أنه لم يبق فى زماننا من يعرف الجهة التى كان يقع بها المسجد من جهات القرية فأرضه مجهولة.

١٤ـ المسجد الرابع عشر مسجد الشيخين:

إذا ما ذهب إلى مسجد الشيخة عن الطريق الشرقى يظل المسجد بين جبل أحد والمدينة المنورة، وقد دفن قائد جيش النبى مصعب[١] بن عمير فى مكان يسمى بمهد حمزة وفى داخل جبل أحد.

وقد قضى النبى ﷺ فيه وقتًا فى غزوة أحد، ومضى إلى حومة الوغى فى

(١) كان مصعب بن عمير ـ رضى الله عنه ـ قد أرسل من قبل النبى ﷺ إلى المدينة المنورة ليعلم السابقين من الأنصار المسائل الدينية ويؤمهم فى الصلاة ويخطب فيهم وقد آمن ثلثا الأنصار الكرام بفضل جهوده.

الصباح وصلى صلوات العصر والعشاء والفجر فى هذا الموقع المقدس، ويسمى هذا المسجد كذلك «مسجد البدائع» لأن فى المكان الذى يطلق عليه البدائع كان حصنان مشهوران باسم الشيخين.

١٥ـ المسجد الخامس عشر مسجد بنى دينار:

مسجد بنى دينار منسوب إلى دينار بن النجار من أحفاد الخزرج بن ثعلبة وهو بالقرب من موضع يسمى المغسلة[١] وخلف وادى البطحان ولا يعرف موضع ساحة مسجد بنى دينار ولكن بما أن صاحب نخيل المغسلة وجد هناك حجرًا كتب عليه بالخط الكوفى: «هذا مسجد رسول الله ﷺ» بنى فى المكان الذى وجد فيه الحجر بنى مسجدًا جميلاً وألصق ذلك الحجر فوق باب المسجد وبناء عليه ليس ببعيد أن يكون هذا المكان مسجد بنى دينار ويروى أن النبى ﷺ كثيرًا ما صلى فى هذا المسجد.

١٦ـ المسجد السادس عشر مسجد بنى عدى بن النجار:

كان هذا محلة بنى عدى بن النجار واغتسل النبى ﷺ فى هذا المكان.

١٧ـ المسجد السابع عشر مسجد دار نابغة:

هذا المسجد أيضًا فى هذا المكان، وقد صلى النبى ﷺ فى هذا المكان.

وعلى رواية صلى أيضًا فى مسجد بنى عدى. ومسجد دار نابغة يستلزم أن يكون هو الضريح الذى دفن فيه والد النبى ﷺ عبد الله بن عبد المطلب.

وفى سنة ١١٤١ اشترى السلطان محمود خان العدلى، من الساحة المتصلة بالمسجد وخاصة بدار الفحل عشرين ذراعًا وضمها للمسجد فجدده ووسعه. وكانت دار نابغة فى المحل الذى دفن فيه عبد الله بن عبد المطلب كما أن دار بنى عدى فى الجهة الشامية لمسجد بنى جديلة.

(١) المغسلة اسم حديقة نخل مشهور بالقرب من المدينة وكانوا قديمًا يغسلون جنازاتهم فى هذا المكان.

١٨ـ المسجد الثامن عشر مسجد بنى مازن بن النجار:

مسجد بنى مازن فى الطرف الشرقى القبلى لمحلة بنى زريق وهو الآن فى مكان يسمى ناحية أبى مازن وقد أمر النبى ﷺ بنفسه بحفر أساس هذا المسجد، وصلى فى الدار التى تسكنها أم بردة المازنية[1]، ولما كانت أم بردة المازنية مرضعة ابن الرسول إبراهيم ـ عليهما السلام ـ ظل النبى بجوارها حين احتضارها.

١٩ـ المسجد التاسع عشر مسجد بنى عمر بن مبذول بن مالك بن النجار:

ويقع هذا المسجد بالقرب من بقيع الزبير ويروى أن النبى ﷺ كان يصلى فى هذا المكان، إلا أن ساحته المقدسة غير معلومة.

٢٠ـ المسجد العشرون مسجد بقيع الزبير:

كان مسجد بقيع الزبير بجوار محلة بنى عم وفى الطرف الشرقى لبدال بنى زريق والموثوق أن مكانه مكان المسجد القديم فى طريق بقيع الغرقد ويروى أن النبى ﷺ صلَّى فى هذا المكان المقدس ثمانى ركعات من صلاة الضحى.

٢١ـ المسجد الحادى والعشرون مسجد صدقة الزبير:

كان هذا المسجد فى محلة بنى محمد والتى يطلق عليها الزبيريات وهى فى الجهة الغربية لمشربة أم أبراهيم، والطرف القبلى لهذا المسجد قريب من حدائق خناقة أعواف من صدقات النبى ﷺ، وما فيه الزبير بن العوام وقد صلى النبى ﷺ فى هذا المكان أيضًا.

٢٢ـ المسجد الثانى والعشرون مسجد بنى خذرة الخزرجية:

هذا مسجد فى قرية بنى خذرة وهو مسجد صغير تجاه بنت الحية وبانية زكوى بن الصالح.

٢٣ـ المسجد الثالث والعشرون مسجد بنى الحرث بن الخزرج ومسجد السخ:

مسجد بنى الحرث فى مكان يسمى تربة الحارث أى فى محلة بنى الحارث التى

(١) انظر: الإصابة ٨/ ٢١٥.

فى وادى بطحان. ومسجد النسخ على بعد ميل من الحجرة المعطرة وفى محلة جشم وزيد بن بنى الحارث، وفى زماننا فساحتا هذين المسجدين مجهولتان إلا أنهم يروون أن دار زوجة الصديق، بنت حارثة على ساحة مسجد النسخ.

٢٤ـ المسجد الرابع والعشرون مسجد بنى الحبلى:

رهط أبى بن سلول الخزرجى، كان مسجد بنى حبلى فى محلة بنى حبلى وفى الطرف الشرقى لبطحان، أى كان فى مكان بين المدينة المنورة وقرية قباء.

٢٥ـ المسجد الخامس والعشرون مسجد بنى بياضة الخزرجى:

يقع فى وادى البطحان فى محلة بنى سالم المتصلة بمحلة بنى مازن.

٢٦ـ المسجد السادس والعشرون مسجد بنى فاطمة ومسجد العجوز أوس:

هذان المسجدان فى عوالى المدينة المنورة وفى الجهة الشرقية من مسجد الشمس وبجانب قبر براء بن المعرور الذى وبايع النبى ﷺ فى بيعة العقبة ومن الأنصار السابقين للإسلام والذى توفى قبل الهجرة.

٢٧ـ المسجد السابع والعشرون مسجد بنى امية بن زيد الأوس:

كان هذا المسجد اللطيف بين قريتى العرش ونواعم. وأنهارت مبانيه مع مرور الزمان وقد تراكمت فوقه الرمال والتراب حتى تكونت هناك ربوة صغيرة.

٢٨ـ المسجد الثامن والعشرون مسجد بنى وائل الأوس:

مسجد بنى وائل المقدس فى قرية قباء، وعلى رأى فى الجهة الشرقية لمسجد شمس، وقد ركز بين العمودين وَتَدٌ للدلالة على المكان الذى أدى فيه النبى ﷺ الصلاة. وبناء على رواية ابن شيبة أن ذلك الوتد بعد عن المحراب مقدار خمسة أذرع.

٢٩ـ المسجد التاسع والعشرون مسجد بنى واقف:

كان المسجد المذكور فى محلة بنى واقف يُشَكُّ فى الجهة التى يقع فيها، إلا أن بعض الموقفين يروون احتمال وجوده فى الجهة القبلية من مسجد الفضيح.

٣٠ـ المسجد الثلاثون مسجد بن أنيف:

إلى جماعة بلى من الخلفاء الأوس ومسجدهم فى الجهة القبلية الغربية من قباء بجانب بئر عذف وفى داخل قرية بنى أنيف.

٣١ـ المسجد الحادى والثلاثون مسجد دار سعد بن خيثمة:

كان مسجد دار سعد فى الجهة القبلية من مسجد قباء المشهور، وعند الهجرة النبوية سكن فى هذه الدار الصديق أبو بكر والسيدة عائشة الصديقة وجناب فاطمة الزهراء وأسماء بنت الصديق وأم رومان والسيدة سودة وعلى بن أبى طالب.

٣٢ـ المسجد الثانى والثلاثون مسجد التوبة:

وإن كان هذا المسجد فى الجهة الغربية من مسجد قباء إلا أنه لم يبق أحد الآن يعرف مكانه.

وكان هذا المسجد لقبيلة بنى جَحْجَبَى المنتسبة إلى بنى عمرو بن عوف وكانوا يقيمون بجانب حصن يسمى «هجيم» وفى مكان يسمى «عصية» وهناك بئر أيضًا. والآن فى موقع عصية عدة آبار ومزارع ولكن لا يعرف بجانب أية واحدة من هذه الآبار كانت ساحة مسجد التوبة.

٣٣ـ المسجد الثالث والثلاثون مسجد النور:

ومسجد النور بناء على بعض الأقوال فى قرية قباء وبناء على الأقوال الأخرى فى المدينة المنورة. ولم يكن يعرف سبب تسمية موقعه وساحته بهذا الاسم إلى سنة ١٢٧١هـ وقد وجد مكانه مصطفى عشقى أفندى من المجاورين مستعينًا بالتواريخ القديمة وروايات المسنين من أهل المدينة وجدده. وإذا به كان من جهة حدائق النخيل التى تسمى بستان قائم فى قرية قباء، بينما كان عشقى أفندى يحفر الأماكن التى بدت له ظهر أساس جداره القديم وقد صدق المسنون من قرية قباء أن هذا الأساس أطلال مسجد النور ودعوا بالخير للمرحوم عشقى أفندى.

كان ذلك المسجد دار أبى بكر الصديق وبناء على تدقيقات عشقى أفندى وتحقيقاته فإن النبى ﷺ شرف فى عصر السعادة بيت الصديق الأكبر، وكان معه عمر الفاروق أيضًا. وعند عودتهما خرج منها نورٌ لهما وأنار الشريفة وبناء على ذلك أطلق على بيته السعيد مسجد النور.

٣٤ـ المسجد الرابع والثلاثون مسجد عتبان بن مالك

إن مسجد عتبان فى محلة بنى سليم الخزرجى وفى داخل برج عتبان بن مالك وهذا البرج فى الجهة الشرقية من مسجد الجمعة، وبما أن النبى ﷺ قد صلى فى داخل برج عتبان بن مالك فقد اتخذ من هذا المكان مسجداً وكان يؤم جماعته فى الصلاة فى الأيام العطرة.

٣٥ـ المسجد الخامس والثلاثون مسجد مثيب:

وهذا المسجد من صدقات النبى ﷺ وقد انهدم بمرور الزمن.

٣٦ـ المسجد السادس والثلاثون مسجد المنارتين:

فى طريق الجبل الأحمر الذى يطلق عليه العقيق الكبير، انهارت أبنيته مع مرور الزمان ولم يجدد ولم يعمر، وأطلاله ظاهرة.

٣٧ـ المسجد السابع والثلاثون مسجد فيفاء الجنادر:

خلف حمام خالد الذى فى الجهة الغربية من جبل يسمى ذات الجيش، وموقعه مجهول الآن. وفى غزوة العشيرة تقدم النبى ﷺ نحو نقب بنى دينار ونزل فى فيفاء الجنادر وبعد أن صلى تحت شجرة ذات السابق[1] التى كانت فى بطحاء ابن أزهر. تناول طعامه وشرب من ماء ثبير[2]، وثبير اسم البئر التى بجانب ذات الساق.

(١) اسم شجرة كبيرة.

(٢) اسم ماء فى ديار مزينة أقطعه النبى ﷺ شرَيسَ بْنَ ضَمْرَةَ.
انظر: اللسان (ثبر) ص ٤٧٠ ط. دار المعارف.

٣٨ـ المسجد الثامن والثلاثون مسجد بنى جثجاثة وبئر شداد:

يقع مسجد بنى جثجاثة فى العقيق تجاه مقبرة بقيع الغرقد وبين ثنية الشريد وخُليفة وبما أن النبى ﷺ فى هذا المكان واستراح فيه جالسا فقد اشتراه عبد الله بن سعد للتبرك وبنى عليه مسجداً عالى البناء.